العدد (١١) ذو الحجة ١٤٢٩هـ ديسمبر ٢٠٠٨م

الصُّوفِيَّة

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

الصوفية والسياسة ...
الدراويش وصراع البقاء

مولد السيد البدوي ...!!

تشويش الصوفية المعاصرين على آيات الدعاء ودلالتها

د/ جمال المراكبي:
أنا لا أريد أن أضع الصوفية كلهم في سلة واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

الافتتاحية — متصوفة اليوم بين الصحو والمحو — ٣

عبادات تحت الضوء — تشويش الصوفية المعاصرين على آيات الدعاء ... — ٦

عقائد تحت المجهر — وعدة - سيدي الحسني - بوهران ..... — ١٠

قصة قصيرة — الشيخ سرحان — ١٨

حـــــوارات — د/ جمال المراكبي : أنا لا أريد أن أضع الصوفية ..... — ٢٠

من مشكاة النصح — تعليقات الإمام الذهبي على الصوفية في ..... — ٢٥

أبحاث ومقالات — كيف تدعين زوجك الصوفي / الصوفية و السياسة — ٣١/٣٥

مولد السيد البدوي ... مدد يا شيخ العرب — ٣٩

مولد مولاي بوعزة ... التصوف والجاهلية الأولى — ٤٥

بونفليقة يخطب ود المتصوفة للحصول على ولاية ثالثة — ٤٦

السلطات المغربية تدعم التصوف لتثبيت أقدامها — ٤٧

هجوم صوفي ضد القرضاوي، ومطالبته بالتنازل عن رئاسة ..... — ٤٨

الأحباش يخططون لتحويل قبر شيخهم إلى مزار ولي — ٤٩

لماذا يُقدّسُ المغاربة قبور الأولياء والأضرحة؟ — ٥٠

للإعائشة البحرية.. ساحة الشعوذة والنصب — ٥٢

الطرق الصوفية وموقف الشارع المصري منها — ٥٤

صوفي سوري يرفع الأذان بمصاحبة موسيقى البيانو — ٥٥

مناقشة الصوفية في مؤتمر -الحب والكراهية- بجامعة ..... — ٥٦

انخفاض كبير في أعداد المشاركين بموالد البدوي — ٥٧

حملة للمدونين لإعلان الرفض الشعبي لمولد - أبي حصيرة -. — ٥٩

الصوفية المنشيعون ينخرصون على انصار الشيخ القرضاوي .... — ٦١

متابعات

الصوفية

مجلة شهرية
تصدر عن موقع الصوفية

الهيئة الاستشارية للمجلة :

د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف
الشيخ/ عبد المجيد الريمي
أ.د / الأمين الحاج أحمد
الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

هيئة تحرير المجلة :

حسن بن علي البار
عبد الرحمن بن محمد الهرفي
محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتَّاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.

بريد التحرير :

a@alsoufia.com

متصوفة اليوم بين الصحو والمحو

لا جَرَمَ أن متصوفة هذا الزمان في حراكٍ مستمر وكدح متلاحق في سبيل إحياء التصوف، وبعث رميمه، وترميم متآكله، وإحياء «الغناء»، وإيقاظ «السُّكْر» و«الاصطلام» وأشباهه[١]! فمؤتمرات القوم تتوالى، وندواتهم تترى، وتعاهد التصوف ورعايته تجاوز «الزوايا» إلى إشاعة التصوف عبر قنواتهم الفضائية ومواقعهم الإلكترونية، فضلًا عن الإذاعات والمجلات.

وسماع الصوفية اعتراه التحويل والتطوير، فلم يعد قاصرًا على الدفِّ والشبابة؛ بل أُقحمت آلات العزف وسائر أدوات الطرب في هذا الزمان، واتسع خرق هذا السماع المحدَث والفاجر، واستطار ضرره وتفاقم شره.

.....

وعمد المتصوفة في السنين الأخيرة إلى إنشاء الجامعات والمراكز البحثية والمجلات المحكَّمة، التي تهدف إلى إحياء ما اندرس من هذا التصوف البائد، وسعوا إلى تكوين محاضن تربوية في سبيل تنشئة الأجيال على الرهبانية المبتدعة، والروحانية الشوهاء.

ويلاحظ في هذا النشاط المربح مظاهر صارخة من العمالة المكشوفة للغرب، والتواطؤ مع الأنظمة العلْمانية، والتعاون على الإثم والعدوان «محاربة المد السلَفي»، إضافة إلى ضروب من الزندقة الصلعاء والكفر البواح، كما في إحداثهم الحج إلى أضرحة ومشاهد، والمجاهرة بذلك، ومضاهاة شعيرة الحج إلى بيت الله الحرام، والدعوة إلى الإبراهيمية «وحدة الأديان»، والتعبُّد بالرقص والفجور كما في الموالد والذكريات.

فصوفية «الأرزاق»[٢] لهم علاقات حميمة مع أمريكا، ومن ذلك: اللقاءات المتكررة لشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر مع السفير الأمريكي (دوني)، بل عرض السفير فكرة دخول المتصوفة إلى الانتخابات بوصفهم تيارًا دينيًّا «معتدلًا»[٣]! كما أن السفير المذكور حريص على حضور مولد البدوي في طنطا كل عام[٤].

وفي مؤتمر تحت رعاية الطرق الصوفية في مصر، طالبوا بجَعْل التصوف مُقررًا دراسيًّا في التعليم العام، وإفساح المجال للمنهج الصوفي لعلاج «التطرف»[٥]! وأقامت مؤسسة «داود الحمراء» في فلسطين ندوة عن الإنسانية والإبراهيمية، تحت رعاية يهودية نصرانية ثم صوفية؛ إذ جمعت بين الحاخام والقسيس وشيخ الطريقة الخلوتية[٦].

وطالب أحدهم الحكومة الجزائرية بإنشاء تجمُّع للطرق الصوفية لمحاصرة المد السلفي في الجزائر، خاصة أن الرئيس الجزائري بذل جهوده من أجل نفض الغبار عن الصوفية؛ على حد تعبيرشيخ الطريقة[٧]! وعلَّل بعض الكُتَّاب سرَّ إحياء التصوف في المغرب، بأنه إرادة الحكومة من أجل مواجهة التطرف[٨].

ولم يقتصر المتصوفة على التمسُّح بأعتاب الأولياء والمجاذيب، بل ضمُّوا إلى ذلك التمسُّح بالغرب والركون إليه، كما أنهم تجاوزوا عبادة الشيوخ والغلو في المعتوهين إلى التذلل والانطراح للأنظمة والحكومات.

هذا الصحو والاستيقاظ عند المتصوفة لا ينفك عن تهافت وإفلاس؛ حيث يكشف عوار هؤلاء الطرقية وتعثُّرهم؛ إذ ركنوا إلى الكفار والأنظمة المستبدة، فوالوا أعداء الله تعالى ولاذوا بهم، ولا يعقب ذلك إلا الصغار والخذلان؛ قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تُنال وَلاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا)[٩]،

فكيف إذا كانت الصِّلات مع أعداء الله تعالى لأجل محاربة السنَّة وأهلها؟!

قال ابن تيمية: (والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضًا، وإن كانوا فعلوه بتراضيهم، قال طاووس: ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلا تفرَّقا عن تَقَال [بغضاء])[١٠].

وقال أيضًا: (وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين زنكي وصلاح الدين، ثم العادل، كيف مكنهم الله وأيَّدهم، وفتح لهم البلاد وأذلَّ لهم الأعداء، لما قاموا من ذلك بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والى النصارى، كيف أذلَّه الله تعالى وكبته)[١١].

والمقصود أن التوكل على غير الله تعالى والركون إلى أعداء الله تعالى، لا يُخلِّف إلا الفشل والاندحار؛ فما لم يكن بالله لا يكون، وما لم يكن لله لا ينفع ولا يدوم، والله U لا يصلح عمل المفسدين.

وأحدث زنادقة المتصوفة الحج إلى ضريح أحمدو بامبا في السنغال

وأحدث زنادقة المتصوفة الحج إلى ضريح أحمدو بامبا في السنغال، ويسمون تلك البلدة «مكة الإفريقية»، ويقال: إن عدد الحجاج خلال العام المنصرم بلغ مليون حاج[١٢]!

كما أحدثوا الحج إلى كازاخستان، وسموه الحج الأصغر! وأطلقوا عليه: مكة الثانية، وعللوا الحج إلى تركستان لأجل مشقة الحج إلى مكة وكثرة النفقة[١٣]!

هذه الزندقة البشعة امتداد لزندقة الحلَّاج؛ إذ زعم أن من فاته الحج فإنه يبني في داره بيتًا ويطوف به كما يطوف ببيت الله الحرام، ويتصدَّق على ثلاثين يتيمًا، وقد أجزأه ذلك عن الحج؛ فاتفق العلماء على وجوب قتله، فقُتل بسيف الشرع سنة بضع وثلاثمائة من الهجرة[١٤].

كما أنها زندقة تضاهي زندقة الروافض في الحج إلى قبر الحسين، وتفضيل كربلاء على الكعبة، وأن زيارة كربلاء يوم عرفة أفضل من سائر الأيام[١٥].

إنه المكر الكُبَّار من أجل حيلولة الأمة عن بيت الله الحرام، والسعي إلى تفريق اجتماعها، وصرف القلوب عن مهوى أفئدة المسلمين، وأفضل البقاع على الإطلاق:

لا يرجع الطرفُ عنها حين ينظرُها

حتى يعودَ إليها الطرفُ مشتاقا

واتباع الشهوات والاستمتاع بالقاذورات والانفلات من اتِّباع الشرائع؛ هو ضربة لازب لا تفارق موالد الصوفية واحتفالاتهم؛ فضريح «ابن حمدوش» في المغرب حافل بالدعارة والفواحش والشذوذ[١٦]، وضريح «أبي حصيرة» في مصر يشهده اليهود ويعمر بالرذائل والفجور[١٧]، والاحتفاء بالرقص والتعبد بالغناء والتمايل والقفز هو سبيلهم للتعريف بالإسلام في الغرب!

وقال أبو الوفاء ابن عقيل: (نص القرآن على النهي عن الرقص؛ فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وذمَّ المختال فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، والرقص أشد المرح والبطر، وهل شيء يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب، أقبح من ذي لحية يرقص؟! فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان؛ خصوصًا إذا كانت مع أصوات نسوان ومردان؟! وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط، ثم هو إلى إحدى الدارين صائر أن يشمس[١٨] بالرقص كشمس البهائم، ويصفق تصفيق النسوة؟!)[١٩].

إن هذا الصحو العارض للمتصوفة سيعقبه بإذن الله تعالى محو واندراس؛ فإن الله تعالى إذا أراد قطع بدعة أظهرها[٢٠]، ومن أسباب ظهور الحق ظهور المعارضين له[٢١]، وإن تربية الأمة على توحيد الله تعالى، والاعتصام بنصوص الوحيين، وتعظيم الشريعة واتِّباعها، وتحرير العقول من رقِّ الخرافة واستعباد شيوخ الطرقية، وهتك أستار التصوف، وكشف حمقه وسفهه، وبيان حكم الله تعالى في زنادقة المتصوفة؛ كل ذلك ونحوه سبيل لمحوه وانقشاعه.

قال القاسم بن أحمد (ت 1217هـ):

فدع التصوفَ واثقًا بحقيقة ... واحرصْ ولا يغررك لمعُ سرابهِ
للقوم تعبيرٌ به تسبى النُّهَى ... طربًا ويثني الصب عن أحبابهِ
فيرون حق الغير غيرَ محرم ... بل يزعمون بأنهم أَوْلى بهِ
لبسوا المدارعَ واستراحوا جرأة ... عن أمر باريهم وعن إيجابهِ
خرجوا عن الإسلام ثم تمسكوا ... بتصوف فتستَّروا بحجابهِ
فأولئك القوم الذين جهادُهم ... فرضٌ فلا يعدوك نيل ثوابه[٢٢]

الهامش:

١. الصحو والمحو من مصطلحات الصوفية، فالصحوة عندهم: هي الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة والسُّكْر، والمحو: غيبة العقل وذهوله! (ينظر: معجم الصوفية، لممدوح الزوبي، ص(٢٤٢، ٣٧٢)، والمقصود به ها هنا: صحوة التصوف من الرقاد والزوايا، وما يتبعه من محو وانطماس بعون الله تعالى وتوفيقه، فالعاقبة للتقوى.

٢. صوفية الأرزاق: هم الذين يقتاتون من الأوقاف، والأسوأ من ذلك الذين يقتاتون من سفارات الغرب والأنظمة المستبدة، وقد حكى محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ أن أحد النقشبندية سئل عن سبب اختلاف أصحاب هذه الطرائق في عمائمهم وأورادهم، مع دعواهم أن الغرض من سلوك كل طريقة منها معرفة الله تعالى وعبادته، قال: (تغيير شكل لأجل الأكل)! [فتاوى محمد رشيد رضا، (٦/ ٢٤١٨)]، وقد نقل الإعلام صورة مخزية من تكالب مشايخ الطرق على عضوية المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر، وما وقع بينهم من تهارش ونزاع حاد، آل إلى الطعن في تلك الانتخابات! ينظر: موقع إسلام أون لاين ٤/ ١/ ٢٠٠٨م، كما وقع صراع على مشيخة الطريقة القادرية في الجزائر، ينظر: موقع إسلام أون لاين ١٤/ أبريل/ ٢٠٠٨م.

٣. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن جريدة اللواء ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٧م، ومجلة الصوفية، العدد الثامن، عن مجلة آخر ساعة ٢٣/ إبريل/ ٢٠٠٨م.

٤. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن صحيفة دار الحياة ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

٥. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن موقع إسلام أون لاين ٦/ ١/ ٢٠٠٨م.

٦. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع.

٧. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن موقع إسلام أون لاين ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

٨. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد الثامن، عن صحيفة هسبريس المغربية ٢٧/ مارس/ ٢٠٠٨م.

٩. أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص(٣٥٣).

١٠. مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٥/ ١٢٨).

١١. مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٨/ ٦٤٣).

١٢. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن وكالة الأخبار الموريتانية، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

١٣. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع.

14. انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية: (1/ 189)، ومجموع فتاوى ابن تيمية: (2/ 480-487)، (35/ 108-119).

١٥. انظر: أصول الشيعة الإثنى عشرية، ناصر القفاري، (٢/ ٤٥٣-٤٧٧).

١٦. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن موقع إسلام أون لاين، ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٧م.

١٧. مجلة الصوفية الإلكترونية، العدد السابع، عن المصري اليوم، ٧/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

١٨. شَمَس: جَمَح ونفر.

١٩. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص(٢٨٩).

٢٠. قال سحنون رحمه الله: (أما علمت أن الله إذا أراد قطع بدعة أظهرها)، ترتيب المدارك، القاضي عياض، (٢/ ٦١١).

٢١. قال ابن تيمية: (من أسباب ظهور الإيمان ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك)، الجواب الصحيح، (١/ ١٣).

٢٢. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد، الشوكاني، ص (٧٠-٧١).

د. عطية عدلان

تشويش الصوفية المعاصرين على آيات الدعاء ودلالاتها

تحت عنوان (شبهة إنكار التوصل والاستغاثة) قال أحد متصوفة العصر عن الآيات الآمرة بدعاء الله وحده، والناهية عن دعاء غيره: (والدعاء يأتي لمعان شتى، وهو في الآيات كلها بمعنى العبادة، والمسلمون لا يعبدون إلا الله تعالى، وليس فيهم من اتخذ الأنبياء والأولياء آلهة، أو جعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم الآيات).

وقال عن حديث ((**الدعاء هو العبادة**))[1] : (فإن قوله صلوات الله عليه وسلامه ((**الدعاء هو العبادة**))، يدل دلالة واضحة على أن العبادة في هذا الحديث مقصورة على الدعاء فقط، بمعنى أن الدعاء هو العبادة، وأن العبادة ليست إلا الدعاء، وهذا معنى خاص، خص فيه الحديث قصر العبادة على الدعاء، والاستغاثة ليست كذلك، فقياسها على هذا الحديث قياس على غير بابه؛ إذ ليس كل دعاء عبادة، والدليل على أن المراد من الحديث هو دعاء الله تعالى لا مطلق الدعاء، ما حققه كثير من اللغويين، وصرحوا به من أن السؤال أحد أقسام الطلب، وهو طلب الأدنى من الأعلى).

والنتيجة التي يريد أن يخلص إليها من هذا السياق المظلم، هي أن الآيات لم تنه عن دعاء غير الله؛ لأن الدعاء فيها جميعًا (معناه العبادة لا حقيقة الدعاء والطلب، أي أن الله تعالى نهى فيها عن عبادة غيره لا عن دعاء غيره، وأن الحديث لا يدل على أن دعاء غير الله عبادة؛ لأن المقصود من الدعاء في الحديث دعاء الله خاصة لا مطلق الدعاء؛ فيكون دعاء الله فقط هو العبادة، أما دعاء غير الله فليس عبادة لغير الله).

وللرد على هذا الباطل الذي يركب بعضه بعضًا أقول:

أولا ـ إن ما زعمه بأن جميع هذه الآيات لم يأت فيها الدعاء إلا بمعنى العبادة قول غير دقيق، ولا ينتسب إلى البحث العلمي؛ فجميع هذه الآيات وغيرها مما يستدل به على أن دعاء غير الله شرك جاء فيها الدعاء بمعنى الطلب، وجاء فيها أيضًا بمعنى العبادة، وها هي أقوال بعض المفسرين في تفسير بعض الآيات التي تنهى عن دعاء غير الله:

يقول ابن كثير في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥]، (أي: لا أضل ممن يدعو من دون الله أصنامًا، ويطلب ما لا يستطيعه إلى يوم القيامة)[٢].

ويقول الإمام الشوكاني في تفسير الآية نفسها: (أي لا أحد أضل منه ولا أجهل؛ فإنه دعا من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضر؟!)[٣].

وقال الزمخشري: (﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ : معنى استفهام، فيه إنكار أن يكون في الضلال أبلغ ضلالًا من عبدة الأصنام؛ حيث يتركون دعاء السميع المجيب، القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ويدعون من دونه جمادًا لا يستجيب لهم)[٤].

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، يقول الزمخشري: (أي: ادعوهم، فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر؛ من مرض أو فقر أو عذاب)[5].

ويقول الإمام البغوي: (ذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف، فاستغاثوا برسول الله ﷺ ليدعو لهم)[6].

وسبب النزول الذي ذكره البغوي ذكره كذلك القرطبي: (لما ابتليت قريش بالقحط، وشكوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله هذه الآية: أي ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلة)[7].

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، قال الشوكاني: (أي لا تدع من دون الله على حال من الأحوال، ما لا ينفعك ولا يضرك بشيء من النفع أو الضر إن دعوته، ودعاء من هكذا حاله لا يجلب نفعًا ولا يقدر على ضر)[٨].

ويقول الإمام الألوسي: (وإذا كان كذلك، فلا رجوع إليه عن شأنه في الدارين، ومعنى ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ فإن اشتغلت بطلب المنفعة ودفع المضرة من غير الله تعالى)[٩].

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، قال الإمام القرطبي: (﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ أي لا يستجيبون لهم دعاء، ولا يسمعون لهم نداء، ضرب الله U الماء مثلا ليأسهم من الإجابة لدعائهم؛ لأن العرب تضرب لمن سعي فيما لايدركه مثلا بالقابض الماء باليد)[١٠].

ففي جميع هذه التفاسير جاء الدعاء بمعناه صراحة دون تأويل، ولم يذكر واحد ممن نقلنا عنهم أن الدعاء في هذه الآيات بمعنى عبادة غير الله تعالى.

صحيح أن بعض المفسرين ـ كالطبري والزمخشري ـ فسَّر الدعاء في بعض هذه الآيات بالعبادة، مثل قول الزمخشري في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، قال: (اعبدوني، والدعاء بمعنى العبادة في القرآن كثيرة)[١١].

وقول الطبري في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠]، قال: (اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني)[١٢].

لكن هؤلاء المفسرين أنفسهم ذكروا الرأي الآخر؛ فهذا الطبري ينقل عن السدي في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، قال: (إن الذين يستكبرون عن دعائي)[١٣].

وهذا يستلزم أن يكون الدعاء الذي ذكر في صدر الآية بمعناه الظاهر صراحة لا بمعنى العبادة، ويقول الزمخشري: (ولايجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها، ويريد بعبادتي: دعائي؛ لأن الدعاء باب من أبواب العبادة، ومن أفضل أبوابها)[١٤].

ثم إن المفسرين الذين فسروا الدعاء في بعض الآيات بالعبادة، لم ينطلقوا من التفريق بين الدعاء والعبادة، ونفي الأول وإقرار الثاني، وإنما انطلقوا من التأليف بين المعنيين وإطلاق الأول وإرادة الثاني، أي إطلاق الخاص وإرادة العام، والعام يشتمل أول ما يشتمل على الخاص الذي أطلق ليدل عليه وليرشد إليه.

والدليل على ذلك أن الإمام الطبري بعد أن فسر الدعاء بالعبادة في قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ﴾، ساق أحاديث منها: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله r **((قال الله تبارك وتعالى: إن عبادتي دعائي، ثم تلا هذه الآية:** ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾**))**، قال: (عن دعائي)[١٥]،

وعن ثابت: قلت لأنس: يا أبا حمزة، أبلغت أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: (بل هو العبادة كلها)[١٦].

هذا معناه أن من فسر الدعاء بالعبادة أطلق الخاص وأراد العام، وهذا العام يشتمل أول ما يشتمل على الخاص الذي كان علما عليه.

ثانيًا ـ إن تفسير الدعاء في الآيات بالعبادة خلاف الظاهر وخلاف المعنى اللغوي، والأولى حمل النص على ظاهره ما لم توجد قرينة ترجح مخالفة الظاهر، وكذلك الأولى اتفاق

المعنى مع اللغة؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ولسانهم، ولا تجوز مخالفة المعنى اللغوي الظاهر إلا بدليل، ولو أننا رجعنا إلى قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]؛ لوجدنا أن القرينة التي حملت المفسرين على مخالفة السياق، ومشهور اللغة هي أن الذي عبر عنه بالدعاء في أول الآية عبر عنه بالعبادة في آخرها، وهذه القرينة غير كافية؛ لأن دلالتها على تفسير الدعاء بالعبادة ليست بأولى من دلالتها على تفسير العبادة بالدعاء؛ إذ التعبير عن الدعاء بالعبادة أولى من التعبير عن العبادة بالدعاء.

والتعبير عن الدعاء بالعبادة له تفسير مقبول وسبب معقول، وهو أن الدعاء لب العبادة ومخها، وأعظم شيء فيها، ويشتمل على معظم معانيها، أو لأن الدعاء فيه الخضوع والذل، وهما جوهر العبادة، قال العلامة المناوي: (وسماه ـ أي الدعاء ـ عبادة، ليخضع الداعي ويظهر ذله ومسكنته وافتقاره؛ إذ العبادة ذل ومسكنة وخضوع)[١٧].

ومن العلماء من حمل الدعاء في صدر الآية على ظاهره، وحمل العبادة في آخر الآية على ظاهرها، ثم ربط بينهما رباطا غاية في المعقولية؛ يقول الشيخ تقي الدين السبكي: (الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره، وأما قوله بعد ذلك ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾، فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء)[١٨].

ومن العلماء من سلك في الجمع طريقًا أدق؛ فاعتبر أن الآية مشتملة للمعنيين، وأن الدعاء قصد به معناه الظاهر وقصد به أيضًا معنى العبادة، وأن الاستجابة قصد بها معناها الظاهر وقصد بها أيضًا معنى ظهور أثر العبادة، يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله:

(فالدعاء يطلق على سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللغة، ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية؛ لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرع إليه، وهذا إطلاق أقل شيوعًا من الأول، والاستجابة تطلق على إعطاء المسئول لمن سأله وهو أشهر إطلاقها، وتطلق على أثر قبول العبادة بمغفرة الشرك السابق، وبحصول الثواب على أعمال الإيمان.

فلما جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت في شيوع الإطلاق في كليهما؛ علمنا أن المراد الدعاء والعبادة، وأن الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة؛ ففعل ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾ مستعمل في معنييه بطريقة عموم المشترك، وفعل ﴿أَسْتَجِبْ﴾ مستعمل في حقيقته ومجازه، وذلك من الإيجاز والكلام الجامع)[١٩].

وكذلك قال شيخ الإسلام: (قيل ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾ اعبدوني وأطيعوا أمري استجب دعاءكم، وقيل سلوني أعطكم، وكلا المعنيين حق)[٢٠].

والقرينة الثانية التي حملت بعض العلماء على تفسير الدعاء بمعنى العبادة في الآيات التي عبرت بالدعاء في أولها وبالعبادة في آخرها؛ كقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، وحديث: ((**الدعاء هو العبادة**))، وهذا الحديث يلح قرينة لتفسير العبادة بمعنى الدعاء في تلك الآيات أكثر من صلاحيته لتفسير الدعاء بمعنى العبادة؛ لأن معنى ((**الدعاء هو العبادة**)) هو أن الدعاء معظم العبادة ولب العبادة، وأهم شيء في العبادة؛ كحديث: ((**الحج عرفة**))[٢١].

يقول الإمام ابن حجر في باب الدعوات من كتابه فتح الباري: (وقالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء، وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ: ((**الدعاء هو العبادة**))، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وأجاب الجمهور: أن الدعاء من أعظم العبادة، فهو كالحديث الآخر: ((**الحج عرفة**))، أي معظم الحج وركنه الأكبر)[٢٢].

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الدعاء في الآيات الناهية عن دعاء غير الله U، ومنها الآيات التي عبرت في أولها بالدعاء وفي آخرها بالعبادة، أن الدعاء فيها يحمل على ظاهره، وأن العبادة هي التي تفسر بمعنى الدعاء، هذا هو الراجح، وهذا هو الموافق لظاهر السياق ومشهور اللغة، فإن لم نقل بهذا وقلنا بما قاله الإمام تقي الدين السبكي من حمل الدعاء على ظاهره والعبادة على ظاهرها، مع الربط بينهما برابط مناسب فلا ضير.

فإن لم نقل بهذا ولا ذاك أمكن أن نقول بما قال به الإمام النووي رحمه الله، وكذلك ابن تيمية وغيرهما، من الجمع بين المعنيين، وأن الآيات التي عبر في أولها بالدعاء وفي آخرها بالعبادة متضمنة للمعنيين معًا، كأسلوب من أساليب

الإيجاز في كتاب الله U، والقول بأي واحد من هذه الأقوال لا يتعارض مع الاستدلال بالآيات، على منع تحريم التوجه بالدعاء لغير الله واعتباره شركًا.

وحتى لو اضطررنا إلى القول المرجوح، وهو حمل الدعاء في الآيات على معنى العبادة، فإن هذا أيضًا لا يتعارض مع ما قدمنا؛ لأن الذي دعا العلماء إلى حمل الدعاء على معنى العبادة، هو أن الدعاء من العبادة، بل هو معظمها، فلا ريب أن العبادة التي حملوا عليها الآيات مشتملة على الدعاء، بل إن دخوله فيها أولى من غيره من سائر العبادات، وعندئذ تبقى الآيات شاهدة على تحريم الدعاء لغير الله ﷻ، وأنه من الشرك ولا شك.

ثالثًا ـ زعمه أن الدعاء في الحديث يراد به دعاء الله تعالى لا مطلق الدعاء، بحجة أن الدعاء لا يكون إلا من الأدنى للأعلى ، يجاب عنه بأن الذي يدعو من دون الله وليًّا أو نبيًّا ويستغيث به، إنما يفعل ذلك لكونه في حسه أعلى منه، والمشركون الذين دعوا الأصنام والأوثان واستغاثوا بها سمي فعلهم هذا دعاء؛ لأنهم لم يشعروا في ذوات أنفسهم أنها أدنى منهم ولا مساوية لهم، بل شعروا بأنها أعلى منهم، وأنها آلهة تنفع وتضر، وبالجملة فإن من دعا غير الله من نبي أو ولي أو صنم أو غير ذلك، إنما فعل ما فعل لكونه يستشعر علوه.

ثم أن الدعاء في الحديث سمي عبادة لأن (الدعاء معظم العبادة، كما قال ﷺ ((**الحج عرفة**)): أي معظم الحج الوقوف بعرفة، أو لأن في الدعاء إظهار العجز والاحتياج من نفسه، والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته، كريم لا يبخل، ولا احتياج له إلى شيء حتى يدخره لنفسه ويمنعه من عباده، وهذه الأشياء هي العبادة، بل مخها)[٢٣].

قال العلامة المناوي: (قال القاضي: إنما الحكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي تستأهل أن تسمى عبادة، من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله، معرض عما سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه)[٢٤]

وهذا يدل على قول النبي ﷺ : ((**الدعاء هو العبادة**)) له عند العلماء تفسير مقبول، مما يجعلنا لا نضطر إلى مثل هذه التأويلات البعيدة ،التي يراد منها إبطال الاستدلال بالحديث على أن الدعاء من أجَل العبادات، ومن ثَم؛ يكون صرفها لغير الله شرك أكبر، والله تعالى أعلم.

الهامش:

١. رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، (١٤٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٤٧٩).
٢. تفسير ابن كثير، (٤/ ١٩٦).
٣. فتح القدير، الشوكاني، (٥/ ٢٠).
٤. الكشاف، الزمخشري، (١/ ١١٩٢).
٥. الكشاف، الزمخشري، (١/ ٦٨٧).
٦. تفسير البغوي، (١/ ١٠٠).
٧. تفسيير القرطبي، (١٠/ ٢٤٣).
٨. فتح القدير، الشوكاني، (٢/ ٦٩٠).
٩. روح المعاني، الألوسي، (١١/ ٢٠٠).
١٠. تفسير القرطبي، (٩/ ٢٥٦).
١١. الكشاف، الزمخشري، (١/ ١١٣٣).
١٢. تفسير الطبري، (١١/ ٧٢).
١٣. تفسير الطبري، (١١/ ٧٢).
١٤. الكشاف، الزمخشري، (١/ ١١٣٣).
١٥. تفسير الطبري، (١١/ ٧٢)، برقم (٢٨٠٤٤)، إسناد شديد الضعف فيه يوسف بن الغرق بن أبي لمازة وهو منكر الحديث.
١٦. تفسير الطبري، (١١/ ٧٢).
١٧. فيض القدير، المناوي، (٣/ ٥٤٠).
١٨. تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٩/ ٢٢٠).
١٩. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١/ ٣٧٧١)، بتصرف يسير.
٢٠. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/ ٤١١).
٢١. رواه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، (٨٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٨٨٩).
٢٢. فتح الباري، ابن حجر، (١١/ ٩٤).
٢٣. تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٩/ ٢٢٠)، بتصرف.
٢٤. فيض القدير، المناوي، (٣/ ٥٤٠).

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

سمير سمراد

فيلات فاخرة، سيارات فخمة ومشاريع بأموال الشعوذة و الشرك

الملايير تتدفق على الأضرحة بلا رقيب ولا حسيب

فتيات بألبسة فاضحة وزوار يسجدون لغير الله

نشرت جريدة "الشروق اليومي" -التي تَصدر بمدينة الجزائر- في عددها(2388)، المصادف ليوم الإثنين: 24 شعبان 1429هـ /25 أوت 2008م، مقالا ضافيا، أو قل: ملفا مسهبا، عن إحدى مظاهر الشر، وتجمعات الفساد، التي عرفت رواجاً كبيراً في هذه السنوات المتأخرة، هي ظاهرة إقامة (الوعدات) على وعند (أضرحة) من يسمون عند الجماهير بـ(الأولياء الصالحين)،

فقد عمل أناسٌ على إحياء ما اندثر من هذه العوائد البدعية، والمواسم الشركية، التي اتخذت غطاءَ (إحياء التراث) و(التذكير بعوائد الأجداد)، و(المحافظة على ثقافة وموروث الشعوب)....إلخ، وقد لقيت هذه دعماً رسمياً، ورصدت لها ميزانيات من الأموال، وسهلت لها الطرق تسهيلاً، وحظيت بإعلام واسع، فتوالى الحديث عنها في (التلفزيون) وفي الإذاعات والجَرائد، بغرض الترويج لها، وليس َهو حديثَ من يستنكرها، ويستهجنِ ما يحصل فيها من منكرات ومخالفات، أشدها: ما يدخل على الناس من الفساد في دينهم وفي عقيدتهم، بسوء ما يعتقدونه فيها وفيمن أقيمت هذه الأعمال لأجلهم وعلى شرفهم -كما يقولون!-، أقول: تحدث المقال أو الملف المشار إليه، حديثا صريحا، لم نألفه عند كثير من الكاتبين من الصحفيين وغيرهم، فسمَّى الكثيرَ من الحقائق بمسمَّيَاتها، وزيَّفَ ادعاءات القوم، وفضح مزاعمهم، وبين مخالفة أقوالهم، لما هو واقعٌ حقيقةً، تُبصرُهُ النفوس التي لم تُبْتَلَ بوباء (الطرقية)، وخرافة(المرابَطيّة)، ولم تُفْتَنْ برجال الغيب -كما يعتقد الكثير-، فَتُنْكرُ بفِطرهَا، ما قدْ راج على ضعفاء العقول من النساء وأشباهَ الرِّجَالَ!...لقد أشار(الصحفي) إلى شنيعتين من الشنائع التي يرتكبها المفتونون بأضرحة (الأولياء)!، لكنه لم يركز عليهما في (بيانه المستفيض)؛ فقد اكتفى في العنوان (بالخط العريض) في واجهة الجريدة، بالكتابة التالية: (فيلات فاخرة، سيّارات فخمة، ومشاريع، بأموال الشعوذة والشرك)، وإذا قرأت المحتوى من الداخل، لم تجد بياناً عن مظاهر الشرك التي يفعلها الجهلة عند هذا الضريح أو ذاك. ولعلّه اكتفى بالشنيعة الأخرى والطامة الكبرى، التي قال عنها: (فتيات بألبسة فاضحة وزوّار يسجدون لغير الله)، وكانت الصورة التي أخذت مساحة من واجهة الجريدة، أكبر معبِّر، وخير شاهد على مبلغ الفتنة والإفتتان، اللذيْن حصلا بسبب هذه الأضرحة، التي زُيِّنَتْ وعُظِّمَتْ بالقولَ وبالفعل أمام أنظار وأسماع قاصديها وزائريها والواقفين على أعتابها!.. إنه السجود للقبر، ووضع الجبهة والأنف على البيت الخشبي الذي يعلو القبر ويحويه، تالله إنها لإحدى الكبَرْ!!...ليت الكاتب الصحفي، جَلّى هذا الأمر، و أفاض فيه تقبيحاً وتشنيعاً، وكما أفاض وقبّح -على الأقل- أفعال أولئك المرتزقة، الذين يستغفلون الناس، ويُبَلْهُونَهُمْ، ويَمُنُّونَهُمْ، ثم يَسْتَلِبُونَ أموالهم، بدعوى أنهم قد أعطوهم البركة، وحَلّوا مَحَلّ الرضا من (الولي الصالح)، و(الشيخ البركة)!!...لقد فضح الكاتب القوم (أولا)، بكشفه عن مصير مداخيل الأضرحة والزوايا من (الزيارات) و(النذور)و (التبرعات)، ثم (ثانيا) بإبطال مزاعمهم بل تُرَّهَاتهمْ، وحيلهم في تَبْليه الناس، واللعب على عقولهم، من أن هذَه المواسم (و الأعيَاد)المشهودة، ممارسة لشعائر دينية، ومجمعٌ إيماني، ومحفلٌ ربانيّ، والواقع-و هو خير شاهد- على إفكهم، أنها اجتماعاتٌ أفسدت الأخلاق بعد أن أفسدت العقائد والأديان، (و الشيءُ من معدنه لا

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

يُستغربُ)، ثم كشف الكاتبُ (أخيراً) عن مبلغ الجهل والانحطاط الذي وصل إليه فئام من الناس-غالبهم من النساء- في دينهم وفي عقولهم!، فعميت بصائرهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.﴾ [الحج/ 46].. فإليكم نقولات ممَّا سطّره الكاتب، الَذي يُشكر له إسهامُه في تنبيه الغافلِين، وإيقاظ النُّوَّام المُخَدّرين، وفتح العقول لمن يتقدمونهم ويَتَوَلَّوْنَهُمْ باسم الدين، و(بركة الصالحين)!:

ـ من هو "سيدي الحسني"؟:

يقول الكاتب معرفاً به: (...العارف بالله الشيخ الوالي الصالح سيدي الحسني الشريف الوزاني، الذي توفي بالزاوية في وهران بتاريخ1321 عن عمر يناهز 94 سنة، حيث أنجب ولدين، أحدهما وهو أحمد جد "الشاب شريف الوزاني"، وكان والد هذا الأخير مولاي عبد الله، الذي توفي بنفس الزاوية في سنة 1999، تاركا خلفه ابنه البكر مولاي أحمد بدر الدين "مولاي الحسن الشريف الوزاني" والأصغر مولاي الطيب، وذلك ما يوضحه شيخ الطريقة الطيبية ذات الأصول المغربية، فالشاب شريف الوزاني" من خلال شجرة النسب وأصول الطريقة، في كتاب ألفه هو، على حد تعبيره، " أصول الطريقة الطيبية وسيرة الصوفي سيدي الحسني الوهراني"، صادر عن دار الأديب بوهران، سنة 2007، فتحصلت "الشروق" على نسخة منه" وقد طبع على نفقة دار الثقافة "زدور إبراهيم بلقاسم"، على هامش ملتقى دولي موّلته مؤسستا سوناطراك وسونلغاز، إلا أنه فضل عدم كتابة اسمه كمؤلف للكتاب، وأرجع ذلك قائلاً"حتى لا يقول الناس أن شيخ الزاوية ألف كتابا على نفسه.."، ومن البرامج التي أشرفت عليها زاوية سيدي الحسني والتي خصص لها مبالغ ضخمة، حسب مقربين، ملتقى دولي العام الماضي حضره جزائريون ومغاربة، تناول إشكالية الطرق الصوفية ومدى تأثر أتباع ومريدي الطريقة الطيبية بالولي الصالح الشيخ سيدي الحسني، شارك فيه أساتذة من أدرار، بشار، أساتذة بجامعة وهران، وأساتذة من طنجة، وتيطوان بالمغرب، وكان مدير الملتقى "شريف الوزاني مولاي الحسن" نفسه.. وشاركه في التنظيم شقيقاه.

ومن بين البرامج الثقافية والدينية كذلك الوعدة المشهورة لسيدي الحسني والتي دامت مدة ثلاثة أيام من 9 إلى 11 جويلية الماضي[2008م]، وقد كانت، حسب شهود عيان، كارثية من حيث التنظيم، إذ اضطر الزائرون إلى المبيت بالشارع وافتراش"الكرطون"، حيث يتنقل مئات من مختلف ولايات الوطن إلى الزاوية في

الموعد ذاته سنويا، للتبرّك بالولي الصالح[1]، وتتدفق مختلف أنواع الطعام وكثير من الأموال من المحسنين لتذبح الخرفان[2] وتقام الولائم وتمتلئ خزينة الزاوية.)اهـ.

ـ من يكون شيخُ الزاوية الحالي؟...اقرأ وتعجَّبْ:

يقول الكاتب تحت عنوان:(مغني مشهور، شيخ للطريقة الطيبية ومشرف على زاوية سيدي الحسني!): (يبدو بادئ الأمر، اتهاما غير قابل للتصديق أو ادعاء لغرض، خصوصا وأن صورة شيوخ الزوايا لدى الجميع لا تخرج عن إطار العابد المتنسك الذي يكون مثالا في الورع والتقوى، وقد كنا أثناء تحضيرنا لزيارة زاوية سيدي الحسني الشهيرة المتواجدة بالقرب من المدينة الجديدة، نتوقع أن يكون شيخها صاحب عباءة وبرنوس، تظهر على ملامحه المشيخة، خصوصا وأن جميع من قابلناهم ذكروا لنا اسمه: الشيخ مولاي الحسن شريف الوزاني، ويعرف بهذا الاسم لدى العام والخاص، وإذا بنا نتفاجأ بشاب في الأربعينيات يرتدي سروال "جينز"، ويتكلم الفرنسية، وكنا قبل مقابلتنا له قد تحصلنا على معلومات لا يعلمها إلا القليل، مفادها أنه مغني ويشرف على الزاوية في نفس الوقت، وتحصلنا على"كارت" أو بطاقة زيارة خاصة به، كان يوزعها سابقا، تحمل صورته ببدلة رسمية، يظهر فيها مبتسما طويل الشعر، ويوجد فوق الصورة الصغيرة رسم لوردة وتحتها عبارة"أحبك" بالإنجليزية، أما ما كتب على البطاقة، فكان بالفرنسية، حيث يوجد اسمه واضحاً" مولاي حسن شريف الوزاني"، وتحتها العبارات التالية التي تشير إلى المهن التي يزاولها شيخ زاوية سيدي الحسني: مغني، صحفي، محل لخدمات الهاتف:نسخ الأوراق، الرقن على الحاسوب، مذكرات، فاتورات، بطاقات زيارة، بطاقة

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

مهنية، مطويات، شعارات، الكتابة على المجسمات، فاكس، نسخ الأقراص المضغوطة، طلب السيرة الذاتية، التغليف البلاستيكي، بيع بطاقات التعبئة، وأرفقت هذه الخدمات بهاتف النقال والفاكس والعنوان التالي:8 شارع سيدي الحسني، وهران، وهو نفس عنوان الزاوية ونفس أرقام الهاتف والفاكس التي وجدناها في مطوية خاصة بالبرنامج السنوي للزاوية التي تحصلنا عليها من "الشيخ/ المغني" ذاته، وقد اكتشفنا ذلك حقا، من خلال زيارتنا للمحل الخاص بخدمات الهاتف بالزاوية، حيث يعلق هناك صورة كبيرة الحجم تحمل صورته الفنية وهو يحمل قلادة حول رقبته، طويل الشعر، وكتب على الصورة "استوديو سانت كريبا"، كما كتب على الصورة بالبند العريض وباللغة الفرنسية "الشريف الوزاني، ملك التيندي"، ما معناه أنه يختص بأغاني التيندي.....)اهـ.

ـ يقول الكاتب تحت عنوان: (أين تذهب مداخيل "الزيارة" والشعوذة وإعانات الدولة؟):

(حسب تصريحات المشرف على زاوية سيدي الحسني، فإن الأعباء المالية للنشاطات الثقافية والدينية ومصاريف ونفقات الزاوية وطلبتها أكثر من المداخيل السنوية، لكن ما لاحظناه غير ذلك تماما، حيث كان يكفينا المكوث لساعات قلائل بالقرب من الزاوية، والاستفسار من بعض الداخلين إليها، لنكتشف أن أموالا طائلة تتدفق على الزاوية وصاحبها، إذ لاحظنا أنه ما لا يقل عن 100 زائر في الساعة، يقصدون الزاوية، خصوصا في فترة الزوال، ولا تتوقف مختلف أنواع السيارات، الفخمة والعادية منها من التوقف أمامها مُقلّة عائلات بأكملها، لا تقل "زيارة" [أي المال المدفوع لشيخ الزاوية] الواحد منها عن 100دج، فيما تتجاوز "زيارة" أصحاب المال والأثرياء ذلك بكثير، حسب شهادات مقربين، وحين استفسارنا لدى إحدى النساء القاصدات للزاوية، صرحت لنا أنها لاجئة إلى شيخ أو طالب بالزاوية، ليكتب لها حرزا لشفاء ابنتها"، مضيفة أن عمله ينفع لحالات المرض، وزواج العانسات، وإنجاب العاقرات، وغيرها، وعلى هذا الأساس يقصد الزاوية نساءٌ ورجال من شتى ولايات الوطن، وقد تعرفنا بعد ذلك أن الشيخ إنما هو مشعوذ، وهو شاب في مقتبل العمر يتواجد في غرفة على اليمين، حيث يسطر الحروز، مقابل مبالغ مالية معتبرة، وكشف مقربون رفضوا الكشف عن هويتهم أن الزاوية يتواجد بها عدد من "الطلبة" يمارسون الشعوذة منذ زمن ويتاجرون بمصائب الناس "و غبينتهم"، ضف إلى ذلك المبالغ التي يدفعها ما لا يقل عن 300 طالب، صغارا وكبارا نظير تعلم القرآن، حسب شهادة شيخ الزاوية نفسه، هذا الأخير صرح أن إعانات الدولة شحيحة ولا يتم الحصول عليها إلا بعد مجموعة من الإجراءات الطويلة ويطلب تبعا لذلك زيادة الاهتمام بهذا الموروث وتخصيص ميزانية للنشاطات الثقافية والدينية، وهو ما أفاد به مطلعون، حيث ذكروا أن زاوية سيدي الحسني حرمت هذا العام من مساعدات مالية، مادية وبشرية فيما يتعلق بالوعدة كانت تستفيد منها لسنوات مضت لأسباب مجهولة، حيث إنها لم تحصل إلا على بضعة صهاريج مياه صالحة للشرب من مؤسسة "الجزائرية للمياه"، لم تكف لكافة الزوار الذين طرقوا أبواب الجيران طمعا في الحصول على كوب ماء.

كما تجدر الإشارة إلى أن زاوية سيدي الحسني تتواجد على مستوى 48 ولاية "كفروع للبنك المركزي" وذلك تحت إشراف الزاوية الأم، بمعنى أن جزءا كبيرا من مداخيلها يصبّ في حساب زاوية الولي الصالح بوهران.

ـ(فيلا فاخرة، "طاكسي فون"، سيّارة جديدة، وممتلكات أخرى)، يقول الكاتب: (لا أحد بإمكانه مساءلة المشرفين على الأضرحة والزوايا، حول وجهة مداخيلها غير الجهات المختصة، فيما تعد هذه الأموال وقفا لها، ممنوعة من الضرائب والمراقبة والمتابعة، باستثناء تقديم حصيلة سنوية عن النشاطات الثقافية والدينية لدى الجهات المعنية، حسب ما صرح به رئيس مصلحة الشعائر الدينية والإرشاد والأوقاف بمديرية الشؤون الدينية... والذي أكد أن ملفات اعتماد الزوايا تؤشر من قبل مديرية تنظيم الشؤون العامة بالولاية بعد تحقيقات أمنية وإدارية وتقصّي حول سمعة صاحبها ودراسة للملف من كل الجوانب، فيما

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

لا يتجاوز دور مديرية الشؤون الدينية، منح الموافقة المبدئية بعد الاطلاع على جوانب تتعلق بأرض الزاوية والمشرف عليها، وحين سؤالنا عن شيخ زاوية سيدي الحسني الذي يعتبر نفسه ملك أغنية "التيندي" وله فيديو كليبات وأغاني مسموعة، صرح رئيس المصلحة أن شقيقه هو المغني وليس هو شيخ الطريقة الطيبية، على الرغم من أن المغني ذاته أكد ذلك ويفتخر أنه فنّان وزعيم للطريقة في نفس الوقت....) اهـ.

ـ (الأضرحة...استثمارٌ آخر يُدِرُّ الملايين بعيداً عن أنظار الرقابة): يقول: (..لا يعدّ كشف جزء من هذه الحقائق، تحاملا على زاوية بعينها، لأن باقي الزوايا والأضرحة على المستوى الوطني لا تقل شأنا عنها وتطاردها الاتهامات من كل جانب، وَسَطَ جَهْلِ الْمُتَشَبِّثِينَ بها لأغراض التَّبَرُّك والشفاء، الزواج والإنجاب وقضاء مختلف الحاجات، حيث توجد بوهران لوحدها 43 زاوية، منها اثنتان لا تعملان وأكثر من 8 أضرحة، حسب رئيس مصلحة الشعائر الدينية والأوقاف، تمثل مختلف الطرق كالشادلية والدرقاوية ويقدّر عدد طلبتها الأقل من 15سنة بنحو 78 طالبا، أما الذين يتجاوز سنهم الـ15 سنة، فهم أكثر من 300 طالب، بمعدل ما بين 20 و30 طالبا بالزاوية الواحدة، مردفاً أن الإعانات المالية التي تمنحها الولاية والوزارة تكون وفق تقييم النشاطات التي تقوم بها سنويا، وأنه لم تكتشف أي تجاوزات فيما يتعلق بوجهة مداخيل الزوايا والأضرحة....) اهـ.

ـ(نساء يرقصن، عشيقات وممارسات غير أخلاقية بـ"الوَعْدَة"): يقول الكاتب: (ثلاثة أيام من الاحتفال بوعدة سيدي الحسني، لم تصطبغ بجو إيماني وممارسة شعائر دينية مثلما يسطر لذلك، حيث يروي شهود عيان أن وعدة سيدي الحسني الأخيرة، تحولت إلى مشاهد للرقص والغناء وإطلاق الزغاريد والعبث بشتى أنواع الأطعمة، تحت أصوات بارود فرقة "أولاد توت"، وأضافت مصادرنا أن نساءً كن يرقصن بالشارع وسط جموع غفيرة من الوافدين إلى الولي الصالح، حسب أفلام فيديو مصورة عن طريق أجهزة الهاتف النقال "اطلعت عليها الشروق" وكانت الوعدة لا تخلو من الأزواج وأصحاب العلاقات غير الشرعية، حيث اصطحب مجموعة من الزوار عشيقاتهم إلى منطقة عين الترك لتناول الكحول، وقدموا في ساعات متأخرة من الليل ليبيتوا بالرصيف على طول الشارع، حيث تتواجد الزاوية وحيث بات العشرات وكانت السيارات مخادع لممارسات غير أخلاقية، استاء لها كثيرون.

فيما ذكر شيخ الطريقة الطيبية أن عدد الزائرين هائل ولا يمكن إيواؤهم جميعا على مدى الأيام الثلاثة، ومن أجل ذلك تقدم بطلب لاستفادته من مراكز للإيواء أثناء الوعدة السنوية، مصرّحاً أنه يتم فيها تلاوة القرآن الكريم ابتداءً من صلاة العصر إلى غاية صباح اليوم الموالي، وهو ما يعرف "بالسَّلْكَة"، ويرافق ذلك حفل فلكلوري احتفالا بختم القرآن ويُعْقَبُ بتلبيس ضريح الولي بحضور الأشراف ومقاديم مختلف الطرق، والإنشاد من طرف فرق الطريقة العلوية، التجانية، الماشيشية، البوعبدلية، الهبرية والقادرية) اهـ.

ـ (الزوار...فتيات بألبسة فاضحة ومهاجرون شبه عراة)، يقول الكاتب: (يبدو أن عدم احترام مثل هذه الأمكنة لا يلام عليه المتسوّلون فقط، باعتبار أن الدخول إلى الزوايا والأضرحة، أصبح لا يختلف عن الدخول إلى "كباريه" أو "علبة ليل"، حيث لاحظنا خلال مراقبتنا لزاوية سيدي الحسني وضريح سيدي الهواري، فتيات يدخلن بألبسة فاضحة تظهر عوراتهنّ، يتقدّمن بمفردهنّ أو برفقة أصدقائهنّ أو عائلاتهن دون مبالاة بباقي الزوار من العجائز اللواتي يبدين استنكارهن لهذه الألبسة وكثيرا ما يوجهن ملاحظات قاسية، تصل إلى حدّ الشجار داخل المقام. إضافة إلى ذلك لا يبالي المهاجرون بألبسة قصيرة يرتدونها، حيث دخل أحد الشبان بتبّان فوق الركبة عاري الكتفين، ومكث بضريح سيدي الهواري طويلا ونظرا لضيق "القبّة" التي تعدّ بمثابة غرفة واحدة، فإن الجميع رجالا ونساءً يختلطون ويتكدّسون بالداخل دون أيّ حواجز. ولا

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

يحدد المشرف على الزاوية أو المقدم بالضريح أيّ ضوابط لاحترام المكان ما دام الوافدون مصدر رزق، بينما أصبحت هذه الأمكنة مفضلة لمعاكسة الفتيات وممارسة أفعال مخلة بالحياء بالقرب منها، على غرار ما يحدث بضريح سيدي عبد القادر الذي يتواجد بمكان منعزل بجبل "المرجاجو" قرب كنيسة "سانتا كروز"، حيث يغص المكان بالأزواج، دون أيّ تدخّل لمنع هذه الممارسات غير الأخلاقية.

وقد لفت انتباهنا أيضاً: أن نفس الزوار تقريبا يتوجهون إلى مختلف الزوايا والأضرحة، حيث شاهدنا فتاة في العشرينيات تتردد على زاوية سيدي الحسني يوميا وكانت المفاجأة أن وجدناها بضريح سيدي الهواري كذلك، وخلال تقربنا من إحدى الزائرات وهي عجوز متقدمة في السن، ذكرت لنا أن ابنها مريض ولم يكشف الأطباء عن مرضه، بينما أكدت لها مشعوذة بـ"عين الترك" أنه مصاب بـ"المومنين"، وعليها أن تأخذه إلى ضريح سيدي الهواري ثلاث مرات ثم تعود به إليها[3]، وكان جميع الوافدين يشربون من برميل ماء وضع أمام مدخل الضريح تبرّكاً به[4]، بينما قام شيخ في منظر أضحك الجميع، بصبّ هذا الماء على ولديه المريضين إلى غاية أن ابتلّت كامل ملابسهما، لكنّ الغريب في الأمر أن صاحب سيّارة كان يملأ البرميل من ماء الحنفية كلّما فرغ، ما معناه أنه ماء عادي!) اهـ، بهذه الأمثلة، ختم (الكاتب الصحفي) مشكوراً، مقالته هذه، والتي صوّرت لنا بعضاً ممّا يحدث بهذه الأمكنة والمشاهد، فأين من يُعَلِّمُ الجاهلين، ويُرْشِدُ الضالين، ويَدُلُّ الناس على الوجهة الصحيحة التي يجب عليهم أن يتوجهوا إليها؟ أين مَنْ يأخذ على أيدي السفهاء؟ ويزجر البُلَهَاء، ويمنع مصادر الشرّ، وينابيع الفتنة، ويستأصل مظاهر الشرك، ويقطع جذور الخرافة، ويملأ القلوب علماً وإيماناً، فيعرفها بربها وفاطرها، ويعلقها بمعبودها؟ أين من ينكر المنكرات، ويحذر من أكبر الكبائر؟ ..أين الأساتذة الجامعيون؟.. وأين العلماء الباحثون؟... وأين الأئمة والخطباء؟...و أين الوعاظ والفقهاء؟...أين، وأين، وأين؟؟؟...أين مَنْ يغارُ على الدين ومعالمه؟، ويغضبُ لحقّ الله أن يُنْتَهَك ومحارِمِه؟

إنكار على المُنكِر وسكوت على المُبطِل؟:

` كأني ببعض المتفلسفين ينطقُ، وهو الذي لم ينبس ببنت شفة، ولم تأخذة هزة ولا ارتعاشة، وهو يرى مظاهر الشرك أمام عينيه، ويسمع أقاويل الخرافة بأذنيه، هاهو ينطق، ويغضب، ويستنكر..لكن يستنكرُ ماذا؟ ويغضبُ على مَنْ؟..ما الذي أنطقه ؟ ..لقد أغاظه أن ينطق من يغارون على حق الله، ويغضبوا حميّةً للدين، مستنكرين الشرك، والتوجهَ إلى قبور، صَيَّرَهَا عابدُوها وقاصدُوها : أوثاناً تُعْبَدُ من دون اللهِ، ..لقد أغاظه هؤلاء!!، فراح يرميهم بأنهم يطعنون في الأولياء.. ويكرهون بلادهم، ويعملون مضادّين لمصالح وطنهم... وأنهم مُسيَّرون من جهات دخيلة على مجتمعنا... وينهلون من موارد لا تمتُّ بصلة إلى مرجعيتنا... وأنهم أهل تعصب وتطرف، وأنهم أصحاب قسوة وغلظة، وفاقدون للحكمة والرويّة....الخ... ماذا عملتم أنتم يا أصحاب الحكمة والتروي؟!! ومتى دعوتم إلى حق الله؟، ومتى أقمتم اجتماعات، وعقدتم ندوات، وسطّرتم برامج ورسمتم منطلقات، لتَذَبُّوا عن حياض التوحيد، وتحْمُوا جنابه؟ ..هل أخرجتم بيانات استنكارية، وهل نشرتم للناس براءتكم مما يجب أن يتبرّأ منه كل مسلم؛ يكفر بكل عبادة لغير الله؟..هل كثَّفْتُم الدروس والندوات في ما تحت أيديكم من وسائل الإعلام، لتُبَيِّنُوا للناس البَيَانَ الذي فرضه الله على أهل العلم، وتُؤَدُّوا واجب النصح لله ولعامة المسلمين.﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران/ 187].

` وكأني بآخرين، ممَّن تحسبهم من المُنصِفين، وتظنّهم ممَّن إذا رأوا المنكر: ينْكِرون..ينطقُون، فيعترفون بوجود تلكم المخازي، ويقرُّون بوجوب إزالتها، وقد يدعون أصحاب "الوعدات" و"الزردات" إلى تركها، ومنعها، وتطهير اجتماعاتهم منها...ثمَّ ماذا؟، وإلى هؤلاء كلماتٌ من إمام محقق، وهو الشيخ مبارك الميلي، فبعد أن أقام الأدلّة على أنَّ (ذبائح الزردة هي مما أهلّ به لغير الله وإن ذكر عليها اسم الله)، قال في مقالة "الشرك ومظاهره"(الجزء13): (إن نظر الناس اليوم إلى الزردة على ثلاث درجات:

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

- الأولى: الحكم بأنها شرك يجب على العلماء تحذير الأمة منه والنصح لهم باجتنابها. ويجب على الأمة أن تصغي وتتبع، وهذا هو الحق الذي علمت شواهده مما أسلفنا لك قريبا.

- الثانية: الحكم بأنها معصية نظرا إلى ما يقع فيها من الإسراف والتكلف والاستدانة ثم الملاهي المنهي عنها من تطبيل وتزمير ثم مظاهر الهمجية والبدعة من رقص وصياح وتخبط كالذي يتخبطه الشيطان من المس ثم صريح الفسوق من شرب الخمر والاختلاط بالنساء والاختلاء بهن، وليس كل زردة تجمع بين هذه الخبائث، ولكن منها ما تشتمل عليها كلها ومنها ما يقع فيها بعضها. وأصحاب هذا النظر مصيبون فيما حكموا صادقون فيما وصفوا، يوافقهم على ذلك أهل النظر الأول، غير أنهم قصروا في نظرهم فقصروه على الظواهر كأن القصد صحيح والنية مشروعة، فكان نظر الأولين نظر رجال الاعتقادات، ونظر الفريق الثاني نظر رجال العبادات، والجمع بين النظرين هو الجامع للصورة الواقعية.)اهـ. والمعنى أن هذه "الوعدة" أو تلك "الزردة"، لو خلت من تلكم المنكرات، ولم يحدث فيها شيءٌ ممّا تقدّم وصفه في "وعدة سيدي الحسني"، من كونها أصبحت وَكْراً للفُسَّاق والفُجَّار، وغير ذلك، ..

ولوْ أنَّ "وعدةَ" أخرى، كانت بعيدةً عن تلكم المظاهر المستنكرة، لما صحَّ أن يحتجَّ بذلك محتجٌّ، فسواءٌ هذه أو تلك، فالكلُّ أقيم على أصل فاسد، وعمل باطل، وهو أنه لم يُقصد بها وجهُ الله، وإنّما أريدَ بها من سَمَّيت باسمه، وكانت بجواره وعند مقامه[انظر: ما سيأتي في دلائل تحريم الزردة، وأنَّ ذبائحها شركٌ].

و لتمام الفائدة:...هذه نقولٌ عن أئمة الجزائر، ودعاة التوحيد الخالص والسنّة المطهّرة في وطننا هذا:

- قال الشيخ مبارك الميلي رحمه الله في مقالة "الشرك ومظاهره"[(الجزء 12)، المنشور في جريدة "البصائر" في سلسلتها الأولى، العدد(25)]: (و التقرب بالذبائح لغير الله من العادات التي عرفت عن المشركين في جاهليتهم فكانوا يأتون إلى أصنامهم وأنصابهم فيذبحون وينحرون عندها تقربا منها وطلبا لمرضاتها معتقدين أن في حصول مرضاتها حصول مرضاة الله. فهم لا يتقربون منها لذاتها بل باعتبار كونها سببا لرضوان الله في معتقدهم. جاء الإسلام فنكر عليهم ذلك الاعتقاد ورد عليهم ذلك التقرب وأوجب أن يتوجه المرء بطاعته إلى الله وحده؛ وحرم من الذبائح ما أهل به لغير الله. قطع الإسلام هذا النوع من الذبائح فيما قطع من مظاهر الشرك. فلم يكن المسلمون يقعون فيما فروا منه أيام كانت العامة ترجع في دينها إلى علمائها، وعلماؤها يرجعون في علمهم إلى الكتاب والسنة، وأقوال هداة الأمة، ويأخذون أنفسهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنصح للخلق والصدع بالحق والغضب لله تعالى اقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. ثم تغيرت العامة لعلمائها، وخضعت لرؤساء جهال لا يتميزون عنها إلا بأوضاع ورسوم ما أنزل الله بها من سلطان. فتنكر علماؤها للدين_ إلا من رحم ربك_ واتخذوا علمهم أداة تقرب من أولئك الرؤساء الجهال، وبضاعة ارتزاق من أولئك العوام وكان هوى الناس تبعا للدين، فصار الدين تبعا لهوى الناس. وهذا أصل كل ما نزل بالمسلمين من الرزايا، وما حل بهم من البلايا. ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[المؤمنون/ 71]. في هذا الدور المظلم بالأهواء، المدنّس بالأطماع، أخذت أسباب الشرك تنمو ومظاهره تتمثل للأعين وتزاحم التوحيد. فكان فيما عاد للوجود منها الذبائح تحت اسمين هما "النشرة" و"الزردة")، وقال في "رسالة الشرك ومظاهره"(ص:230): (والذبح الديني يسمى نسكا. وكانت العرب تنسك في جاهليتها النسائك حول أصنامها وأنصابها تقربا إليها، وتحتفل لذلك على نحو ما تراه اليوم في "الزردات".)، وقال في(ص:239): (و هذه "الزردة" يذكرون اسم الله على ذبيحتها [ونيّتهم الذبح للصالح عندهم]) اهـ.

وقال عن (ذبائح "الزردة"): (.. فإن كل من خالط العامة يجزم بأن قصدهم التقرب بالزردة من صاحب الضريح أو المزار. ومن شواهد هذا القصد:

أولاً: أنهم يقولون " زردة سيدي فلان" والذين يسمون

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

الزردة طعاما كما في بعض الجهات يقولون "طعام سيدي فلان يكون يوم كذا" فيضيفونها إلى وليهم.

وثانيا: أنهم يفعلونها عند قبره وفي حرمه لا يبغون بغيره مكانا لزردتهم.

وثالثا: أنهم إذا نزل المطر إثرها نسبوه لسر الشيخ صاحب الضريح، وقويَ اعتقادُهم فيه وتعويلهم عليه.

ورابعا: أنهم إذا نُهوا عنها غضبوا ورَموا الناهي لهم بضعف الدين أو بالإلحاد، وقد يؤذونه بأيديهم.

وخامسا: أنهم لو تركوها فأُصيبوا بمصيبة نكسوا على رؤوسهم، وقالوا: إن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه!

فهذه دلائل قاطعة بأن المقصود من الزردة هو التقرب من الولي. وهي أصدق من الأقوال التي يتستر وراءها المكابرون) اهـ.

ـ يقول الإبراهيمي رحمه الله: (...يجري كل هذا والأشياخُ أشياخٌ يُقدس ميتُهم وتشاد عليه القباب، وتساق إليه النذور، ويتمرغ بأعتابه، ويكتحل بترابه، وتلتمس منه الحاجات وتفيض عند قبره التوسلات والتضرعات، ويكون قبره فتنة بعد الممات كما كان شخصه فتنة في الحياة. ثم تتوالد الفتن فيكون اسمه فتنة، وأولاده فتنة، وداره فتنة... وما ضر هؤلاء الأشياخ-و قد دانت لهم الأمة وألقت إليهم يد الطاعة، ومكّنتهم من أعراضها وأموالها- أن يأخذوا أموالها سارقين، ثم يورثونها أولاداً لهم فاسقين، يبددونها في الخمور والفجور، والسيارات والملابس والقصور. ما ضرهم أن تهزل الأمة إذا سمنوا؟ ما ضرهم إذا فسدت أخلاقها ما دام خلق البذل والطاعة لهم صحيحاً؟ ما ضرهم أن تتفرق كلمة الأمة ما دامت مجمعة على تعظيمهم واحترامهم، ومُغضية على شرهم وإجرامهم؟ ولكن الذي يَضيرهم ويُقِضُّ مضاجعَهم هو أن ترتفع كلمة حق بكشف مخازيهم وحيلهم الشيطانية، وتنفير الناس منهم وتحذيرهم من إفكهم وباطلهم، فهنالك تقوم قيامتهم وينادون بالويل والثبور، ويقاومون بما لا يخرج عن طريقتهم في التضليل ودس الدسائس، .....) ["آثار الإبراهيمي" (1/ 172)]

وقال : (وبالجملة، فهذا الطراز الطرقيُّ الذي أدركناه من آباء وأبناء يجمعهم قولك طلاب دنيا وعُبّاد شهوات. ولو أكلوا أموال الناس بالباطل من غير أن يتخذوا الدين شباكاً لهان أمرهم على الناس ولاتّقوهم بما يتقون به اللصوص، ولو كلناهم نحن إلى القوانين والوزعة. فأما أن يعبثوا بالدين كلَّ هذا العبث، وبما حرّم الله من أعراض المسلمين وأحوالهم ثم يريدون أن نسكت عنهم كما سكت العلماء من قبلنا، فلا والله ولا كرامة. ولعل أسخف طور مر على الطرقية في تاريخها هو هذا الطور الأخير. فقد أصبح من أحكامها أن شيخ الطريقة لا يلد إلاّ شيخ طريقة....و أصبح أمر هذه المشيخة لا يتوقف على تربية ولا تسليك ولا إجازة، وإنما يتوقف على قاعدة "خبز الأب للابن"... إننا لا نحمل لهؤلاء المشايخ ولا لأولادهم ولا لأحفادهم حقداً ولا نضطغن عليهم شيئاً، ولا ننفس عليهم مالاً من الأمة ابتزوه، ولا جاهاً على حسابها أحرزوه، وليس بيننا وبينهم ترات قديمة، ولا ذحول [أي أحقاد] متوارثة، ولا طوائل مغرومة. وإنما هو الغضب لله ولدينه وحرماته أَنْطَقَنَا فَقُلْنَا، وشَنَّنَاهَا غارةً على الآباء والأبناء، ما دام هذا الغصن من تلك الشجرة، ...) ["الآثار" (1/ 176-177)].

ـ وقال في درس تفسير خاتمة سورة إبراهيم، وبعد أن عرض لنضال إبراهيم عليه السلام في محاربة الأوثان، وتقرير "الصلة الوثيقة بين إبراهيم ومحمد -عليهما السلام-، إذ كل منهما قد ابتلي لمحاربة الأوثان وبث التوحيد الخالص في البشر، قال: (..و قال إبراهيم في أوثان قومه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ...﴾ [إبراهيم/ 36]، هذا المرض الفتاك الذي استعصى على أولي العزم من رسل الله علاجُه، هو الذي غفل عنه المسلمون، وهوّن شأنَه علماؤهم الجامدون حتى استشرى وأعضل. فهذه القباب المشيدة، وهي أوثان هذه الأمة، أضلت كثيراً من الناس، وأكثر من الكثير، وافتتنوا بها، وبأسماء أصحابها حتى ألْهَتْهُم عن دنياهم وأفسدت عليهم أخراهم، وغَلَوْا في تعظيمها حتى أصبحت معبودةً تُشَدُّ إليها الرحال، وتُقَرَّبُ لها القرابين والنذور، وتُسْأَلُ عندها الحاجات التي لا تُسْأَلُ إلاَّ من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتآلى بها على الله، وما جرَّ هذا البلاء على الأمة الإسلامية حتى أضاعت الدين والدنيا، إلاَّ سكوتُ العلماء عن هذه الأباطيل أوّلَ نشأتها، وعدمُ

وعدة "سيدي الحسني" بوهران فضائح....و مخازي

سدِّهمْ لذرائعها حتى طغت هذا الطغيان على عقول الأمة، ولو أنهم فَقَّهُوا الأمة في كتاب ربها، وساسوها بسنة نبيها لكان لها من سيرة إبراهيم ومحمد عاصمٌ أيّ عاصم من هذا الشر المستطير.) ["الآثار" (1/397)].

---

1 – التبرك بالأولياء، وزيارة الأموات التماساً للبركة، من الشرك بالله تعالى، أو من وسائله ومن الطرق الموصلة إليه، وفيه مضاهاة لأعمال المشركين، الذين كانوا يعكفون على قبور الصالحين كاللات؛ يتبرّكون بها. وزيادةً في البيان أقول: إن كانوا يتبركون بالولي وبالمكان الذي دفن فيه، على أن دعاءهم عنده مستجابٌ، وأحرى لقبوله، أو أن الصدقة عنده يضاعف ثوابها، فهذا بدعةٌ محدثةٌ، وسببٌ ووسيلةٌ إلى الشرك. وإن كان الزائر يتبرك بالولي المزور، على أنه ينتفع به (في قضاء الحاجات من غير أسبابها المعتادة وطرقها الظاهرة فهو من نسبة التصرف في الكون للمخلوق، وذلك شرك)[«رسالة الشرك ومظاهره»للشيخ مبارك الميلي(ص:226).]، وإن كان الزائر يريد من التبرك: (الاستمداد من أرواح الصالحين ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم يتصرفون في العالم ويقضون حاجات قاصديهم... ويرون أن روح الصالح فلان هنالك... ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والتمسح بالحيطان وكل ما يضاف إليه ذلك المكان، وكل هذا جهل وضلال...)[«رسالة الشرك» (ص:227).]

2 – هذه الذبائح ممّا أهلَّ لغير الله به، والقصد منها التقرّبُ من الوليّ؛ وهو هنا «سيدي الحسني»، إذْ هو المقصود بالذبح؛فقد ذبحت(الخرفان) باسمه وإن كانوا إنما سمّوا الله عليها، فالعبرة بالقصد والنيّة، ومن الشواهد على ذلك، أن هذه «الوعدة» تسمّى باسمه، وتنسبُ إليه. انظر:مزيداً من البيان، ما سيأتي في (الملحق) من كلام الشيخ مبارك الميلي رحمه الله.

3 – المراد بـ«المومنين»: الجنّ، وأَمْرُ هذه المرأة التي تعملُ الكهانة لهذا المريض أو وليه بالذهاب إلى الضريح للزيارة، من قبيل الأمر بالشرك، أو بأسبابه وما يوصل إليه، والذي أوحى به إليها قرناؤها من الشياطين، فلا يرضيهم إلاّ أن يشرك هذا المريضُ بالله. فيتركُ هذا المسكين إيمانه، ويخسرُ دينه، مقابل أن يُشْفَى، وقدْ لا يحصل له الشفاء، والأمر لله من قبلُ ومن بعدُ.

4 – هذا من (التبرك المبتدَع المأفون)، راجع ما نقلناه عن مظاهر (التبرك الاستمدادي).

موقع منبر وهران

صدر عن موقع الصوفية

(التصوف بين التمكين والمواجهة)

محمد بن عبد الله المقدي

الشيخ: خيري فهمي

الشيخ سرحان

ياالله! زالت غمة المدرسة وجاء قريبنا فرَّاش مدرسة قريتنا الموقر بالنتيجة سريعًا: «ناجح ومنقول للصف الخامس»، وسمعت جارتنا تُبارك للوالدة: إن شاء الله نفرح به وهو معه أكبر شهادة، ولدك متفوق، والتلاميذ أصحابه يقولون إنه ممتاز، ويسير في الدراسة مثل الجرار، حسرة علينا وعلى أولادنا، لهم عشرسنين في المدارس والواحد منهم لا يعرف يقرأ ولا يكتب، لكن الواحد منهم لو نزل على شوال عيش أو شادر بطيخ؛ يقضي عليه، على العموم مبارك ألف مرة يا أم مسعود.

قصة قصيرة

تمعر وجه الوالدة، وتبسمت ابتسامة صفراء، ونظرت إليها بعيون تائهة، وهي حائرة بين كلمات التهنئة التي سالت على شفتيها، وقلبها الذي ينزف حسرة وحقدًا، وقالت: بارك الله فيك يا أم منصور، وغدًا إن شاء الله منصور ينتج بالعيش الحلال الذي يأكله، وانصرفت سريعًا وهي تقول الله أكبر! أهي تبارك لي أم تعزيني في ولدي؟! قل أعوذ برب الفلق.

وانطلق الأطفال والمراهقون في الحر الشديد إلى حمام السباحة العمومي (الترعة)، واندسست بينهم خشية أن يراني أحد إخوتي فيخبر والديَّ؛ إذ ستتحول فرحة النجاح إلى شتم ولطم وحرمان من العشاء ومنع من المصروف، ناهيك عن تكليفي بأصعب الأعمال في الأسبوع المقبل، والتضييق عليَّ في لعب الكرة مع الأصدقاء؛ وذلك خوفًا عليَّ من الغرق والأمراض، ولكن كانت مياه الترعة لا تقاوم في هذا الحر الشديد، ولاسيما وأنت ترى الأطفال والشباب يتبارون في سباقات القفز ومعارك الماء، وتنسى نفسك بين الصياح والعراك .

وكم تمنيت أن لو كانت عائلتي كعائلة محمود عبادي، الذين لا يعاقبون أبناءهم على فعل شيء، حتى خُيِّل إلى أنهم يبيتون في الترعة؛ لأنني كلما مررت عليهم وجدتهم يسبحون فيها، وفي غيرها من الترع المنتشرة في أنحاء القرية.

واجتمعتُ ومجموعة من الأصحاب تحت ظل شجرة، منتظرين أن تجف ملابسنا، ونحاول أن تتعرق وجوهنا حتى لايظهر عليها أثر الاستحمام في الترعة، ونتجاذب أطراف الحديث عن فلان الذي سافر وجاء بما لذ وطاب من الهدايا لأولاده وأقاربه، وفلانة التي لها سمعة سيئة مع الرجال وزوجها الديوث كأنه لايعلم، وفلان الذي قتل خمسة رجال من عائلة البقاري عندما شتم أحدهم أخته الصغيرة في الطريق، وتلك السينما الموجودة في المركز التي فيها أفلام لأشهر الممثلين.

ووووووو وإذ بالكلمات تتوقف، والوجوه تتغير، والعيون تحملق في خوف ووجل، وإذ بي أنتفض كالعصفور بلله القطر، ويخفق قلبي، وتتحدر قطرات العرق على عيني فتلسعها، وكل ما توقعته أن يكون أحد أفراد عائلاتنا قد قبض علينا بجريمة الاستحمام في الترعة، ونزعت يديَّ من تحت رأسي حيث كانتا لي كالوسادة، ورفعت رأسي ببطء متمنيًا أي شيء إلا أن يكون أحد عائلتي فوق رأسي.

... وإذ بي أنتفض كالعصفور ...

وبدأت أتحقق وأتثبت، بدأت بالنظر إلي القدمين، واختلطت عندي مشاعر الخوف بمشاعر الطمأنينة، فليس في عائلتي قدمان كهاتين القدمين، قدمان طويلتان جدًّا جدًّا، قذرتان جدًّا جدًّا من كثرة معاناة السير حافيتين، يخيل إليك أنهما ملفوفتان في نعلين أسودين قاسيين ممزقين،

وارتفعت عيني مع ساقين إحداهما عارية حتى الركبة، والثانية مغطاة بخرقة بالية قذرة، لو دققت النظر رأيت عورته غير مستترة، وقامة طويلة وعيون تحملق في بقسوة وحدَّة، ويدان طويلتان ممدودتان، وشعرت كأن ملك الموَت جاء يقبض روحي، وصرخت: ماذا تريد؟ ماذا تريد؟ انصرف عني انصرف عني.

فانكسر كالطفل تصرخ فيه والدته، وانزوي قريبًا منا وتبول، نصف البول سال على ملابسه، ثم التفت إليَّ وحملق في مرة أخرى، ولم أنبس ببنت شفه، ومد يده كأنه يتسول، فقال له الأصحاب: ليس معنا شيء وهم يرتعدون، وطفق يسير ببطء مفزع، وتجمدتُّ في مكاني، واصفر وجهي، وغرقت في عرقي، ولما رُدَّت إليَّ الحياة قلت في وجل: من هذا الكئيب؟

قالوا: لاتتحدث عنه هكذا، هذا الشيخ سرحان من أولياء الله الصالحين، ادع ربك ألا يسلط عليك الشيخ سرحان؛ لأنه طلب منك شيئًا ولم تعطه، هذا الرجل المبارك لايسلم منه أحد.

قلت كيف أعاقب وأنا حقيقة لا أملك شيئا؟!

قالوا: لكنك صرخت فيه وأمرته بالانصراف، إن أيامك سوداء.

قلت: هو الذي أفزعني وشيَّب شعر رأسي بقدومه بغتة، هل أولياء الله يُفزعون خلق الله؟ ثم كيف، ثم كيف، وسكتُّ.....

قالوا: ثم ماذا؟

قلت: كيف يكون الولي هكذا عاريًا قذرًا يتبول على نفسه.

قالوا: أنت مجنون، استر يارب، بركاتك يا شيخ سرحان، يا أحمق، دي أسرار مع ربنا، ربنا منحه الولاية بلا سبب، وشيوخ المساجد يخافونه ويخوِّفون الناس منه، وبعد ذلك هناك ألف دليل ودليل على بركته، ألا تتذكرون فلان الذي شتمه، ولم يمر أسبوع إلا وماتت جاموسته؟

وفزعت وقلقت؛ فلقد كنت أعلم أن قدري لا يساوي ربع جاموسة، وأسرعت وجمعت ملابسي، وهرولت مسرعًا إلى البيت، يقولون لي في البيت مالك منذ الظهيرة وأنت أحوالك عجيبة؟

غير أني لم أتكلم لكن في الليل استيقظ الجميع على صرخاتي وأنا أرتجف: سامحني يا شيخ سرحان، أنا غلطان أنا غلطان، وضمتني والدتي وهي تبكي، وتهتف بركاتَك يا حسين، بركاتك يا سيدة زينب، بركاتك يا سيدي عبد الرحيم، يا قناوَي، يا بني، ما بك؟ وبكيت كثيرًا كثيرًا، وقلت: الشيخ سرحان ألقاني في الترعة، وقفز فوق رأسي، وكاد يغرقني.

وفي الصباح أخبرت الأسرة بما جرى بيني وبين الشيخ سرحان، دون ذكر لموضوع الترعة، وصرخ في الوالد: لماذا لم تخبرنا من الأمس؟! كنا أصلحنا الأمور مع الشيخ سرحان من زمان.

> ... وأنا جالس مع أبي الذي استنار قلبه بالتوحيد ...

ونادى: يا مسعود، هات الشيخ سرحان من تحت الأرض، وقل له: والدي سيغديك وسيكسيك، لا تتأخر والتفت إليَّ والدي: يا بني، نحن لا نستطيع معارضة هؤلاء.

وانصرف الشيخ سرحان شبعًا مكسوًّا والسيجارة في فمه، غير أنه رجع وحملق في، وفزعت، غير أنه تبسم في حمق ثم غاب عن الأعين، وقضيت الليلة كلها أسمع قصص الأولياء مع المعادين لهم، وكيف فعلوا بهم، وقلت لأبي: خسارة، كنت أنا أولى بهذا الثوب الذي سيمزقه ويبول عليه، فتبسم وقال: نم وأنت عريان، وابتعد عن شر الشيخ سرحان، وتبسمت ونمت مطمئنًّا.

وغاب سنوات طويلة، وعاد ومر عليَّ وأنا جالس مع أبي الذي استنار قلبه بالتوحيد، واستنار وجهه باللحية والسجود، وأشار إلى أبي يريد سيجارة، فقال له أبي: لقد تاب الله عليَّ، لكن هناك طعام، وأكل كأنه لم ير طعامًا قبل ذلك قط، وكأنه يأكل بيديه ورجليه، وانصرف، وقلت: يا أبت، كيف كنتم تؤمنون بالكرامات في أمثال هؤلاء؟!

قال: يا بني، الحمد لله على نعمة الهداية إلى منهج أهل السنة والجماعة، وكانت الناس معذورة بسبب جهلها، وبسبب سيطرة شيوخ المساجد الجهلة، الذين كانوا يتحكمون في الناس بالدجل والخرافة، والشيطان كان يا بني يخدم أمثال هذا بأفعاله، كأنها كرامات لهم.

وأرجو ألا تتكلم كثيرًا في حق الشيخ سرحان حتى تستطيع أن تنام في أمان، وضحكنا ...

وبعد سنين غرق الشيخ سرحان في الترعة، وتعفنت جثته، وأكلت الكلاب بعضها، وما زال بعض العميان يؤمنون ببركات الشيخ سرحان.

الدكتور جمال المراكبي:

أنا لا أريد أن أضع الصوفية كلهم في سلة واحدة

أجرى الحوار: أسامة الهتيمي

لا يستطيع أحد أن ينكر ذلك الدور الدعوي الكبير الذي لعبته جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر، خاصة فيما يتعلق بمحاربة البدع والخرافات التي روجتها الطرق الصوفية، إثر ابتعادها عن فهم الكتاب الكريم والسنة النبوية، والتي جاءت أفكارها خليطا من عادات وتقاليد شعوبية، استمدتها من ديانات وعقائد هذه الشعوب قبل الإسلام.

وكان للمواضع والقضايا التي أثارتها مجلة التوحيد الناطقة بلسان جماعة أنصار السنة، أثر كبير في لفت نظر هذه الملايين من المصريين إلى ضرورة إعمال العقل، والبحث عن صحيح الدين في الكثير من السلوكيات التي كانت تُعَد لِوَقت قريب أشكالا من الذكر والتعبد.

التقى موقع الصوفية الدكتور جمال المراكبي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة، وكان لنا معه هذا الحوار.

س: فضيلة الدكتور، نرحب بكم أولًا في موقع الصوفية، وفي البداية يعرفكم الناس من خلال جهودكم الدعوية المباركة، لكننا نود هنا أن يتعرف عليكم القارئ عن قرب؟

جـ: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد: أرحب بكم، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يكون لقاؤنا وحوارنا في ميزان حسناتنا يوم نلقى الله ﷻ.

أنا الدكتور جمال المراكبي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ورئيس مجلس إدارة مجلة التوحيد، وقد حصلت على درجة الدكتوراة في القانون العام في المجال الإداري والدستوري، وهذا هو ما كان متاحًا لي في الكلية التي تخرجت منها وهي كلية الحقوق، لكن بفضل الله منذ تخرجي وأنا متحول للدراسات الشرعية.

وحتى عندما أعددت رسالة الدكتوراة في مجال الدساتير ومجال نظم الحكم، رأيت أن أتكلم عن نظام الخلافة الإسلامية؛ فكانت رسالتي للدكتوراة بعنوان: "الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة ... دراسة مقارنة" قارنت فيها بين الأنظمة الديمقراطية الحالية وبين نظام الخلافة الراشدة، وحتى نظام الملك العضوض، وهي دراسة موجودة ومطبوعة لمن أراد أن يطلع عليها.

لكن في الأصل أنا تخرجت من كلية الحقوق جامعة الزقازيق عام 1979م، ثم بعد خمس سنوات بدأت مشوار الدراسات العليا وكان بسبب الدعوة، فحصلت على دبلومات في الشريعة الإسلامية والقانون العام ، ثم تهيأت لدرجة الدكتوراة، وعملت هذا البحث الذي تم مناقشته في كلية الحقوق جامعة عين شمس في 12 / 12 / 1991م.

س: جمعية أنصار المحمدية من أوائل من اهتم في مصر ـ بعد سقوط الخلافة الإسلامية ـ بطرح قضايا التوحيد وإبطال حجج أهل البدع لاسيما الصوفية، ولها تاريخ ورموز في هذا المجال، نود أن تذكر لنا نبذة عن كيفية نشأة هذه الجماعة وعن هذه الجهود المبذولة؟

جـ: الجماعة أسسها عالم من علماء الأزهر الشريف، وكان إمامًا من أئمة الأوقاف وهو فضيلة الشيخ حامد محمد الفقي رحمة الله عليه وعلى مشايخنا وعلمائنا، وكان هذا الرجل يتصدى للبدع والخرافات من خلال تعليم الناس صحيح الدين؛ فكان إذا وجد بدعة مخالفة لهدي النبي r أو سنته يحاربها وينكرها.

وطبيعي أنه كان يوجد بدع كثيرة تملأ مصر في هذا الوقت؛ إذ أحدثك عن فترة ما قبل العشرينات من القرن الميلادي الماضي؛ حيث كانت هناك بدع كثيرة تتعلق بالمتصوفة وغيرهم، ووجد الشيخ رحمه الله مجابهة شديدة

أدت إلى فصله من عمله، وتعرضه لشيء من الضغوط فكانت نواة إنشاء أنصار السنة.

اجتمع حوله أتباعه ومريدوه، وتم تأسيس جمعية أنصار السنة المحمدية بعد سقوط الخلافة الإسلامية بفترة قصيرة، وقد أعلن عن تأسيسها رسميًّا عام 1926م، وفي هذا التوقيت نشأت جماعتان كبيرتان: أولهما الجمعية الشرعية قبل هذا التاريخ بقليل، والثانية جماعة الإخوان المسلمين بعد هذا التاريخ، وبالتحديد عام 1928م، إذ كان يوجد توجه عام بعد سقوط الخلافة عند الشعب المسلم أو الدعاة المسلمين بالعودة للأمة إلى ماضيها العتيد، وأن الأمة لن ترجع إلى هذا الماضي إلا بدعاة يأخذون بأيدي الناس إلى طريق الحق، إلى طريق الجنة.

طبعًا كانت دعوة أنصار السنة تهتم اهتمامًا واسعًا ببيان صحيح الدين، ورد الناس إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومن هنا كان شعارهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بفهم سلف الأمة، وفهم سلف الأمة هذه ليست بدعة؛ فهو متفق عليه عند أهل العلم والفقه، بل تسمى في أصول الفقه الإسلامي بالإجماع.

لأن الأمة اتفقت بعد رسول الله ﷺ على أصول لم تنحرف عنها إلا حينما ظهر الخوارج والمعتزلة والجهمية، ثم بعد ذلك الفرق الأخرى التي تفرعت عن هذه الفرق، والتي ابتعدت عن منهج الحق الذي كان عليه أهل السنة، وبقيت طائفة أهل السنة تعتصم بهذا المنهج وتعتصم بهذا الحق، فعُرفت بأهل السنة تمييزًا لهم عن الروافض بشتى أنواعهم وأقصد الشيعة، وعن الخوارج على اختلاف فرقهم ومناهجهم، وعن الماتريدية والأشعرية.

فكل هذه الجماعات وافقت السنة في أشياء وخالفت السنة في أشياء، فكان المرد عند التنازع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى ما كانت الأمة قد أجمعت عليه قبل الاختلاف، وهذا بالطبع واضح في باب المعتقد، ربما يكون ذلك قليلًا في باب الفقه؛ لأن الصحابة اختلفوا كثيرًا في الفقه لكن لم يحدث لهم اختلاف واحد في المعتقد.

فكان الشيخ يرد الناس في أمر المعتقد إلى الأمر الأول، إلى ما كان عليه الناس في زمن الاجتماع على الحق، في القرون الثلاثة الفاضلة التي أثني عليها رسول الله ﷺ، ومن هنا نفهم معنى السلفية، معنى الرجوع إلى الأمر الأول، ليس معناه ردة حضارية كما يُروِّج البعض، وليس معناه أن نترك التراث الفقهي الذي استثمره المسلمون؛ لأن الأئمة الأربعة بشكل خاص عاشوا في هذه القرون.

لكن معناه الرجوع عن البدع وعن الضلالات، وعن الانحرافات العقدية التي سادت في الأمة في أزمنة ما بعد القرون الثلاثة الفاضلة؛ فالحق مع الكتاب والسنة وما اجتمع عليه أهل هذه القرون على هذا الحق.

فكانت هذه دعوة أنصارالسنة، وهي بفضل الله ممتدة ومنتشرة في ربوع مصر، بل وخرجت خارج مصر بفضل الله، ولكنه كما قلنا خروج غير منظم، فهو تأثير على بعض الأفراد يحملون الدعوة وينشرونها في ربوعهم وأماكنهم، وأصبح لدينا بفضل الله 220 جمعية باسم أنصار السنة، كل جمعية مستقلة تحمل هذا الاسم، وكلهم يندرجون تحت لواء المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية الذي رأيته اليوم.

س: وماذا عن جهود الجمعية خارج مصر؟

ج: لا، ليس لنا جهود خارج مصر؛ لأنه يحكمنا إطار قانوني ولوائحي؛ فاللائحة التي أنشأت على أساسها الجمعية هي اللائحة التي تحكم الجمعيات الخيرية والأهلية داخل مصر؛ فالجمعيات الأهلية في مصر لا يسمح لها بالعمل بالخارج ، لكن مع هذا نعمل من خلال الدعوة، ونتواصل مع كل صاحب سنة ويحمل لواءً سلفيًّا صحيحًا، بغير تعصب وبغير عمىً، نتواصل مع الجميع، مع علمائنا في السعودية، مع كل الذين يحملون هموم ولواء الدعوة في العالم الإسلامي، وهو تواصل وتعاون، لكن ليس لنا انتشار منظم خارج مصر؛ لأننا محكومون بهذه اللوائح وتلك القوانين.

س: هل ترى أن هناك تراجع لدور الجماعة في مواجهة البدع والأفكار الضالة؛ بسبب انشغالها بقضايا أخرى؟

ج: لا، الجماعة نجحت بقدر كبير في التخفيف من حجم هذه البدع والضلالات، ولا أقول نجحت في القضاء عليها؛ لأنه من الصعب أن تقضي على فكر مخالف، لكن تؤثر عليه.

الدكتور جمال المراكبي:
أنا لا أريد أن أضع الصوفية كلهم في سلة واحدة

نجاح الجماعة يتجلى في هذا الانتشار الواسع للجماعة؛ فالجماعة بدأت بشيخ واحد يلتف حوله عدد من المريدين، الجماعة الآن بها المئات من الشيوخ ومئات الفروع وآلاف المساجد التي يخطب فيها الجمعة باسم هذا المنهج الصحيح، ونتعاون الآن مع الأزهر، ونتعاون مع وزارة الأوقاف، عندنا أحد عشر معهدًا لتخريج الدعاة، تُشرِف عليها وزارة الأوقاف في مصر.

فدور الجماعة لم يتراجع، لكن لعلك تقصد التركيز على قضية التوحيد وقضية القبور، توحيد الألوهية والقبور، فهذا حق، لكننا لن نقف حول هذه المسألة كما يقف الطائفون حول الكعبة، وإنما عقيدة أهل السنة تشمل توحيد الألوهية وتشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

فاتسع نشاطنا ومجالنا فيما يتعلق بالعقيدة السلفية ليكون أكثر عمومية وأكثر منهجية، في الأمر الأول كنا نحارب الموالد والقبور وعباد القبور، وهذا كان قضية الساعة بالنسبة لنا، لكن القضية الآن أصبحت قضية عامة، قضية السلفية وأهل السنة في كل مكان، وقضية كيف نتصدى للرفض والروافض سواء داخل مصر أو خارجها، الآن اعتقد أن دور الجماعة لم ينحصر، ولكنه اتسع واتسع بفضل الله.

س: ما تقييمكم للنشاط الصوفي حاليًا، لاسيما في ظل محاولة الغرب دعم هذا التيار لمحاربة أهل السنة من ناحية، ومحاولة الشيعة استمالة فرق التصوف من ناحية أخرى؟

ج: الحقيقية أنا لا أريد أن أضع الصوفية كلهم في سلة واحدة، نحن نعلم أن الصوفية فيهم الصوفية الطرقية التي تهتم ببعض البدع والضلالات التعبدية والموالد، وهناك الصوفية العقدية أو الفكرية التي تكلمت في الحلول والاتحاد وهذه الأفكار، وهناك التصوف المرتبط بالمذهب الشيعي والتصوف الذي ارتبط بالمذهب السني في فترة من الفترات، فنحن لا نتعامل مع الجميع معاملة واحدة، ولكن نحن بوصفنا ننكر البدعة ونردها وندعو إلى السنة، فإذا وافقني الصوفي على سنة قبلته فيها، وإذا خالفني في سنة رددته إلى السنة بالحكمة والموعظة الحسنة.

الآن الدور الصوفي في مصر انحسر بصفة واضحة المعالم، كنا قديمًا في بداية الجماعة مصر كلها كانت صوفية، لكن الآن مصر مليئة بأصحاب الفكر السلفي، حتى في داخل الأزهر الشريف عندنا دعاة وأساتذة جامعة يحملون لواء السنة ولواء محاربة البدعة، ولعل هؤلاء لا ينتسبون لأنصار السنة إداريًّا، لكنهم ينتسبون إلى فكر أنصار السنة الذي دعت إليه واهتمت به، وأثَّر تأثيرًا عجيبًا؛ لأننا لا نؤثر على المرتبطين بنا إداريًّا فحسب، ولكن نؤثر في مجتمع الدعوة كله.

س: ما هي أخطر الفرق الصوفية في نظركم في مصر حاليا، والتي تنصح فضيلتكم بضرورة التصدي لها؟

ج: طبعًا الفرق الصوفية كلها تحمل في طياتها خطورة البدعية، لكن أخطر التيارات الصوفية التي انفصلت عن الرفض والتشيع، والتي تحاول الآن أن تعود لمنهج الرفض والتشيع في صورة تشهير أو تشويش على المنهج السني أو السلفي، وفي صورة دعوة للغلو في بعض الأشخاص، هؤلاء لهم كتب ومنشورات ينشرونها باسم التصوف، وهم في الحقيقية يُروِّجون لمذهب الشيعة الإثنى عشرية، وهؤلاء أخطر ناس ونتصدى لهم فكريًّا.

س: والبعض يتبنى خطاب وحدوي، بغض النظر عن أخطاء الاعتقاد والبدع، ويقول إن الأمة تتعرض لحرب كونية شاملة، تحتاج إلى توحيد الجهود والصفوف بدلًا من تفرقها، فما رأيكم؟

ج: أنا لي وجهة نظر في هذ المسألة لابد من أن أبسطها، أولًا فيما يتعلق بتوحيد الجهود ودفع الصائل ورد العدو الذي اجتمع علينا من أقطارها، فالمصلحة تقتضي أن أجتمع حتى مع من أخالفه في مسألة ما، لنرد ضرراً أعظم أو أكبر، وهذا ما قلته في العراق، حينما بدأ التشيع يستطيل على السنة في العراق.

قلت لا يصح أن نسوي بين المبتدعة أو الصوفية جميعًا؛ وأن نضعهم جميعًا في سلة واحدة، فبعضهم أقرب من بعض للسنة، وكثير منهم لا يسبون الصحابة ولا يطعنون في عدالتهم، ويحترمون في الجملة عقائد أهل السنة.

فعندما يأتي خطر الرافضة مثلًا ا لابد أن تتوحد الجهود لرده، كذلك عندما تأتي أخطار خارجية؛ فالأمة المسلمة لابد أن تتضافر اقتصاديًّا وسياسيًّا، وعندنا مَثَل في مصر وإن كان جاهليًّا: "أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب"، هو مثل جاهلي لكن المعنى هنا حينما نتعرض لعدو صائل لابد من دفعه، ولا أفكر في الخلافات الداخلية حتى لو كانت خلافات فيها معنى عقدي،

لكن ليس معنى هذا أني أوافقك مع بدعتك، ولكني أتوافق معك في أصول نتفق عليها.

وهذه الصورة البعض أثارها لما نشب قتال بين حزب الله و"إسرائيل"، بعض الناس من السلفيين لم يكن لديهم رؤية واضحة، حتى ظنوا أننا ضد حزب الله على طول الخط، لا إننا مع حزب الله ضد "إسرائيل"، لكن هذا لا يعني أننا مع حزب الله على طول الخط؛ فحزب الله حزب شيعي، حزب رافضي.

في لقاء من اللقاءات بالجمعية الشرعية الرئيسة قال بعض الناس إننا نتعرض لحزب الله، فقلت لهم: هل قرأتم كلامي؟ قالوا: لا لم نقرأ كلامك، قلت لهم: تتهمونني بما لم أقله، فنحن لا نقول هذا، لكن لا تنسوا أن حزب الله حزب رافضي، حزب شيعي.

ولو سألتم حسن نصر الله نفسه: ما مذهبك؟ سيقول لك: أنا شيعي إثنا عشري، ولن يقول لك إن مذهبي سني، لا بد من وضع الأمور في نصابها، أنا قلت: يا إخواننا، المسلمون حزنوا عندما هزمت الفرس الروم، ونزلت سورة الروم ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٢-٣].

والقصة المشهورة في رهان أبي بكر لمشركي قريش على التحدي القرآني، وبالفعل، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، فهذا تحد، وغلبت الروم الفرس وفرح المؤمنون، مع إن الروم كانوا كفارًا؛ إذ كانوا أهل كتاب ولم يكونوا مسلمين أو مؤمنين بمحمد ﷺ، لكن انتصارهم على الفرس انتصار لحزب المؤمنين الموحدين في الجملة، ومع ذلك، فيما بعد قامت الدولة الإسلامية لتحارب في جبهتي فارس والروم.

فهذه الصورة مهمة لأعرف كيف أضبط أمور المصالح والمفاسد إذا جاءني عدو صائل، لكن بعد ذلك التميز مطلوب، والتميز برد الناس إلى الأمر الأول، أنا أتميز بأني أكفر الناس أو أفسقهم أو أبدع الناس! لا، أنا أرفق بالناس، أنا منهجي: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذا هو المنهج، فالمطلوب هنا الرفق بالناس ودعوتهم إلى الحق، وأن آخذ بأيديهم إلى الجنة، لا أن نصف الناس، ونصنفهم بهذه الصورة القبيحة التي ظهرت عند البعض.

لكن ليس معنى هذا أنني أذوب مع المخالف وأن أذوب في بدعتهم، وإلا لا يكون التميز صحيحًا، التميز الصحيح أن أكون صاحب سنة، يُقال: فلان صاحب سنة هذ الجماعة، جماعة سنة، ومن فضل الله أن الشيخ الفقي وأعوانه اختاروا اسم أنصار السنة، وهو فيه معنيان عظيمان: المعنى الأول معنى الأنصار، وهي نصرة دين الله، والمعنى الثاني السنة في مقابلة البدعة، فنحن ننصر السنة ونتعاون مع كل من ينصرها، في مقابلة كل فكر منحرف، أو كل فكر يروج لبدعة ويدعو لها.

س: للصوفية أيدي بيضاء في نشر الإسلام في أفريقيا وغيرها، هل من الممكن أن نجعل الصوفية جميعهم في سلة واحدة أثناء مواجهة بدعهم، أم يجب التفريق في التعامل؟

ج: لا، لا، فشيخ الإسلام ابن تيمية له مجلد في مجموع الفتاوي اسمه السلوك، يثني على أركان الصوفية، يثني على الجنيد، على سليمان الداراني، على بشر الحافي، على أمثال هؤلاء، مع إن هؤلاء كان يقع منهم بعض الضلالات التعبدية، وكذلك الإمام أحمد، أثنى على بشر الحافي ثناء عجيبًا، ولكن أهل السنة طعنوا في أمثال الحلاج وابن عربي وابن الفارض، الذين أتوا بالحلول والاتحاد؛ إذًا الصوفية هنا ليسوا في سلة واحدة.

كذلك إننا نناقش الاسم نفسه، فلو أردت بالصوفية الإسلام الصحيح؛ فلماذا لا تتسمى باسم الإسلام واسم السنة، وإذا أردت به الإسلام المنحرف؛ فإننا نرد على بدعك وضلالتك وانحرافك، ومعلوم أن التصوف موجود في كل الديانات؛ فاليهودية فيها تصوف، وكذلك المسيحية والمجوسية، بل إن عند الهنود تصوف، وهذا معلوم.

واشتقاق الصوفية من "صوفي" الكلمة اليونانية أو من "الصوف"، هذه الاشتقاقات تكلم فيها العلماء، لكن كما قلت لك الشيخ عبد القادر الجيلاني أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ثناء عاطرًا، وهو شيخ صوفي، بل إن ابن قدامة المقدسي صاحب المغني ذهب إليه وهو صبي صغير هو وابن خالته عبد الغني المقدسي صاحب الكمال في أسماء الرجال، ليدرسا عليه في بغداد بعد ارتحالهما من الشام.

فالتمييز بين الناس بالسنة مهم جدًّا حتى بين الصوفية؛ لأنك

الدكتور جمال المرلكبي:
أنا لا أريد أن أضع الصوفية كلهم في سلة واحدة

قد تجد إنسانًا صاحب سنة عنده زهد وورع، وله كلام في السلوك، وانظر ابن القيم عنده كتاب مدارج السالكين كله في السلوك، هل يقال ابن القيم صوفي؟ ابن القيم سلفي صاحب سنة، لكن هل السلفيون وأصحاب السنة لا يتكلمون في السلوك؟ يتكلمون في مقامات الإحسان والإيمان وفي كل هذه الأشياء؛ لأن هذا هو دين الإسلام ،فنحن نتفق مع الصوفي إذا تكلم في السنة، ونخالفه عندما يتحدث في البدعة.

س: كان لكم العديد من المساجلات مع الطريقة العزمية، فما تقييمك لهذه الطريقة وما سبب هذه المساجلات؟

جـ: الطريقة العزمية أنا وصفتها بأنها صحوة الموت بالنسبة للصوفية، فنحن فوجئنا بها بأنها تطبع الكتب وتنشرها في مصر، وتصفنا في أنصار السنة بأننا تكفيريون، وأننا وهابيون، وتهاجم منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتهاجم المنهج الموجود في الدولة السعودية مهاجمة شديدة.

طبعًا نحن في أول الأمر أخذنا نهجًا أننا لا نرد عليهم؛ لأن مثل هذا الذي يحاولون النفخ فيه قد خمد، والكتب التي يطبعونها لا تساوي أكثر من المداد التي طبعوها به، حتى فوجئت بهم على شاشة التلفاز "قناة النيل للثقافة" في أحد البرامج، ويرفعون مجلة التوحيد، ويقولون: انظروا، إنهم يكفرون الصوفية، فاتصلت بي القناة وطلبوا مني مداخلة، فرددت عبر الهاتف ردًّا مناسبًا، وبيَّنت أننا لا نكفر إلا الكافر وبضوابط، وبيَّنت الفرق بين عموم التكفير وتكفير المعين.

فعموم التكفير أن نقول من فعل كذا أو قال كذا فقد كفر، وتكفير المعين أن نقول الفاعل الفلاني أو القائل الفلاني كافر، فهذا لابد من استتابته و إصدار حكم قضائي بشأنه، وهذا في الفقه معروف، لكن الذي يقول: ما في الجبة إلا الله أقول له كفرت، والذي يقول: حلّ الله في جسدي أقول له كفرت، والذي يقول: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا أقول له كفرت، وبيَّنت هذا من خلال الشاشة بفضل الله، ومع إن المداخلة كانت سبع أو عشر دقائق، إلا أن مردودها كان طيبًا، وهم بعد هذا توقفوا عن هذا الكلام.

س: كلمة أخيرة توجهونها للشباب المسلم حتى لا ينخدع بهذه الطرق وبدعتها، لاسيما وقد وجدت لنفسها مجالًا بين الشباب، بعد دعم المؤسسات الرسمية لها؟

جـ: من الظلم للمؤسسات الرسمية أن نقول بأنها تدعم الصوفية؛ فالمؤسسات الرسمية تبحث عن الدين الصحيح بصفة عامة، أو تتعامل مع التيارات الموجودة في البلد التي هي فيها، لكن أقول دائمًا للشباب تعلَّم؛ فنحن أصبحنا في سوق مفتوحة للعلم؛ فهو يرى من شبكة الإنترنت كل الأفكار وكل التيارات، ومن خلال الكتاب كل شيء.

كنا نسمع قديمًا أن شيخ الإسلام ابن تيمية مُشبِّه ومُجسِّم، مبتدعٌ ضالٌ، وإنه يقول إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كما أنزل على منبري، وينزل درجة على المنبر، كنا نسمع هذا الكلام الذي نسبه إليه ابن بطوطة، فلما طبعت كتب ابن تيمية ومجموع فتاويه؛ وجدنا الرجل أبعد ما يكون عن هذا وهو صاحب سنة، فأنصفته المكتبة، فنحن في زمن المكتبة والانترنت والفضائيات، وبفضل الله الصوت السلفي أصبح عالٍ ومرتفعًا ومؤثرًا.

فأقول للشباب تعلم واخلص في تعلمك، وقل: يا رب، اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، فهكذا علمنا الرسول ﷺ.

إذ يوجد خلاف حول الحق؛ فاطلب من الله الهداية والعصمة، وأن يرزقني الإخلاص والتوفيق والسداد، ثم أسلك وأبحث عن الشيخ صاحب الدين والورع العلم وآخذ عنه، وأعلم أن شيخي مهما كان ليس معصومًا، قد يخطئ، ولكن قد أسمع منه ولا أرد عليه لكن لا أتبع الشيخ في كل شيء، فأنا عندي عقل وعندي قدرة على الفهم والاستباط، وأنمِّي هذا بالدراسة والمعاهد العلمية، وهذا متاح بفضل الله.

وأُنمِّي هذا بمتابعتي للشيوخ الأجلاء الذين يظهرون على الشاشات ومحطات القرآن الكريم و من خلال كتاباتهم، لكن أحاول أن ألتزم شيخًا سلفيًّا سنيًّا صاحب هدي، وإن شاء الله تكون هذه وسيلة للطلب الصحيح للعلم، ووسيلة صحيحة للتأثير فيمن حولي.

أقول للشباب: عليكم بالعلم، ثم العلم، ثم العلم، والفهم الفهم الفهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكرم مبارك عصبان

تعليقات الإمام الذهبي على الصوفية في سير أعلام النبلاء

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن المتصدي للمتصوفة تواجهه مشكلة تبدو بادئ الرأي صعبة، فإذا ما أعاد النظر بان له حقيقة التعامل معها، ويكمن الإشكال في ما حققوه من لبس بذكر بعض شيوخ الزهد ونسبة التصوف لهم، ابتغاء تمرير خرافاتهم وترهاتهم، ولابد للمتصدي أن يخرج هذه الفئة من هذا الركام؛ حتى لا تصيبه معرة في تعميم الحكم، ثم إذا تزيل الخبث اطمأن إلى الحكم على الطائفتين الأخريين، أعني متكلمة المتصوفة وغلاتهم من أهل الوحدة.

فأما مشايخ الزهد فإنهم على الحق ما استقاموا بهدي النبي ﷺ، ونحن بذلك نحبهم ونجلهم، وأما الذين تأثروا بالكلام ومصطلحات الصوفية إن عارضوا الشرع بأذواقهم وكشوفهم؛ فليت بيننا وبينهم بيداء من الأرض، وأما أهل الوحدة الذين أكلوا من شجرتها الخبيثة، واتخذوها مراغمة للدين؛ فليت دونهم بيد دونها بيد.

والكتاب والسنة هما المعيار عند التنازع فوجب الرجوع إليهما، والحوالة عليهما، ولما كانت الطرق الصوفية أمشاج من المناهج التي أعوزها العثور على ما يؤيد سيرها من الكتاب والسنة، عاجت على رسم خطوط لها تلتقي عند أمرين:

الأول ـ الغاية التي يقصدونها والمتمثلة في التوحيد، ويعنون به الفناء.

الثاني ـ الرياضة الفلسفية التي تصل إلى الغاية، وهي ذات أربعة أركان، وهي: (الجوع والسهر والخلوة والذكر)، وقد يضاف السماع، ولابد عندهم من شيخ يستسلم له المريد.

وهذه التوطئة هي بيان لما أردنا بيانه من تعليقات الإمام الذهبي على الصوفية في سير أعلام النبلاء، فهو لا يجد فرصة سنحت له دون أن يزجي عليها تعليقات سنية مهمة، ويستغلها بتوضيح الحق، وبذلك فقد حقق التوازن باتخاذ المسلك الرصين في مرتبتين

إحداهما: إيراد النقل الذي بلغه فيؤديه كما نقل إليه، والثانية: التعليق عليه بما يراه حقًّا بناء على مشربه السني.

والإمام الذهبي قد اتصف بتعليقه على أهل الكلام والتقليد والمخالفين عن طريق السلف من المتصوفة والرافضة الذين آلمهم ما نحاه في ميزانه فأرادوا كسر شوكته، وهو حين يعلق على المواقف فإنه خبير بالرجال، والمنهاج التي ارتضوها، ومن الذي يجهل مؤلفاته التي سارت بها الركبان، وصارت مرجعًا للأمة؟! منها: تذكرة الحفاظ، وميزان الاعتدال وتاريخ الإسلام الكبير وسير أعلام النبلاء، فحين يقف لانحرافات المنابذين للحق بالمرصاد ويسجل تعليقًا على مواقفه، فما أنصحه للأمة!

ونحن هنا نختار من تعليقه على الصوفية في سير أعلام النبلاء في النقاط التالية:

أولا ـ الجانب العملي عند الصوفية:

- **الجوع المفرط:**

يعد الجوع لدى المتصوفة أحد أركان الرياضة التي يرجون من ورائها إماتة النفس وإفناءها، ويبالغون في تصوير تحمله إلى حد بعيد، ومن ذلك ما قيل: إن ابن عطاء فقد عقله ثمانية عشر عامًا، ثم ثاب إليه عقله.

قال الذهبي (١٤/ ٢٥٦): (ثبت الله علينا عقولنا وإيماننا، فمن تسبب في زوال عقله بجوع، ورياضة صعبة، وخلوة؛ فقد عصى وأثم، وضاهى من أزال عقله بعض يوم بسكر، فما أحسن التقيد بمتابعة السنن والعلم)[١].

- **الخلوات :**

وهي من أركان الرياضة أيضًا، فإنهم يرون من الضرورة على السالك أن يلج غياهب الخلوات، ويدع الناس ولا يشارك في المجتمع، وطريق مثل هذا لاشك أن الأعداء يطمعون فيه ويسيل له لعابهم، ثم إن الخلوات لا تسلم من مكائد إبليس الذي يبث سمومه فيها، ولهم فيها قصص غريبة، لكن الذهبي وقف لها بالتعليقات المهمة:

أ ـ ففي ترجمة الأبهري قيل: إنه عمل له خلوة، فبقي خمسين يومًا لا يأكل شيئًا.

قال الذهبي (١٧/ ٥٧٦): (إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ، فإذا كان سرد الصيام والوصال قد نهي عنهما، فما الظن وقد قال نبينا ﷺ: ((**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع**))[٢][٣].

ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب، وفسد عقله، وجف دماغه، ورأى مرأى، وسمع خطابًا لا وجود له في الخارج، فإن كان متمكنًا من العلم والإيمان فلعله ينجو بذلك من تزلزل توحيده، وإن كان جاهلا بالسنن وبقواعد الإيمان تزلزل توحيده وطمع فيه الشيطان، وادعى الوصول، وبقي على مزلة قدم، وربما تزندق، وقال: أنا هو! نعوذ بالله من النفس الأمارة ومن الهوى، ونسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا آمين.

ب ـ وذكر في ترجمة طاهر الجصاص أن محمدًا بن عيسى يقول: صام طاهر أربعين يومًا أربعين مرة، فآخر أربعين عملها صام على قشر الدخن، فليبسه قرع رأسه، واختلط في عقله، ولم أر أكثر مجاهدة منه.

قال الذهبي (١٧/ ٣٩١): (فعل هذه الأربعينات حرام قطعًا؛ فعُقبَاها موت من الخور أو جنون واختلاط، أو جفاف يوجب للمرء سماع خطاب لا وجود له أبدًا في الخارج، فيظن صاحبه أنه خطاب إلي ـ إلهي ـ كلا والله)[٤].

جـ ـ قال في ترجمة نجم الدين الكبدي: وقال ابن هلالة: جلست عنده في الخلوة مرارًا، وشاهدت أمورًا عجيبة، وسمعت من يخاطبني بأشياء حسنة.

قال الذهبي (٢٢/ ١٢٢): (لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المفرط، بل هو سماع كلام في الدماغ الذي قد طاش وفاش، وبقي قرعه كما يتم للمبرسم، والمغمور بالحمى، والمجنون، فاجزم بهذا، واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح)[٥].

فتأمل أخي ـ حفظك الله ـ هذه التعليقات النافعة التي ترجع الخيالات الفاسدة التي يزعمها كثير من الصوفية أصحاب الخلوات، من المكاشفات والمشاهدات إلى السبب الحقيقي وهو الجوع، الذي أنتج هذه الأمور، ولو ثاب إلى طعامه لذهب عنه ما يجد، وبالله التوفيق.

ثانيًا ـ الجانب العلمي:

- **مقام الفناء:**

يعد الفناء هو الغاية التي ينتهي إليها سير الصوفية، والذي يتمثل في حقيقة التوحيد عندهم، وقد يكتفي السائر بفناء الشهود، وقد يقتحم فناء الوجود ويغرق في الوحدة، والفناء الذي هو الغيبة، والاصطلام هو حجب الخلق، وكان عند رؤيتهم لا يشاهد، وأما بعده فهو مقام البقاء، بحيث لا يحجبه الخلق عن الخالق ولا العكس، هكذا يقررون، وهي مصطلحات لا طائل وراءها، بل ثم الهلاك.

أ ـ ونقل في ترجمة إبراهيم القرميسيني قوله: علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة.

قال الذهبي (١٥/ ٣٩٣): (صدقت والله، فإن الفناء والبقاء من ترهات الصوفية، أطلقه بعضهم فدخل من بابه كل إلحادي وكل زنديق، وقالوا: ما سوى الله باطل فان، والله تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثم شيء غيره، ويقول شاعرهم:

وما أنت غير الكون بـل أنـت عيـنه

ويقول الآخر: وما ثم إلا الله ليس سواه.

فانظر إلى هذا المروق والضلال، بل كل ما سوى الله محدث موجود، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤])[٦].

ب ـ وفي ترجمة ابن الأعرابي نقل قوله: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك؛ إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

قال الذهبي (١٥/ ٤٠٩): (إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين.

فإن طالبتهم بدعاويهم مَقَتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون، فلا حول ولا قوة إلا بالله)[٧].

ج ـ نقل في ترجمة كرز قوله: لا يكون العبد قارئًا حتى يزهد في الدرهم.

قال الذهبي (٦/ ٨٦): (هكذا كان زهاد السلف وعبادهم، أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء، والمحو، والاصطلام، والاتحاد، وأشباه ذلك، مما لا يسوغه كبار العلماء)[٨].

وهذه التعليقات الجياد كما تراها ترشق أغراض الباطل، وما يدخل عن طريقه المنحرفون من ألفاظ الفناء والاتحاد، التي لم ترد في نص، وإنما هي من خيالات القوم، ويحذر من الاغترار بها، ويمدح من وصف صاحبها بأنه فارغ، أو أنها من المغالطة والزندقة.

ثالثًا ـ معارضة النصوص بالوجد ودعوى المحبة:

إن من المصائب التي تزري بالتصوف والرزايا التي تصيب أهله، تقديم كشفهم وذوقهم على الكتاب والسنة، فإن هذا مهلكة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، فالصادق من وزن أحواله وأقواله بميزان الشرع، وأعلن البراءة مما سواهما.

- **الوجد والذوق:**

نقل عن أبي قلابة أنه قال: إذا حدثتَ الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله؛ فاعلم أنه ضال.

قال الذهبي (٤/ ٤٧٢): (قلت أنا: وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهات «العقل»؛ فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد؛ فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه)[٩].

- **شطحات الحلاج:**

قال ابن الوليد: كان المشايخ يستثقلون كلامه وينالون منه؛ لأنه كان يأخذ نفسه بأشياء تخالف الشريعة وطريقة الزهاد، وكان يدعي المحبة لله، ويظهر منه ما يخالف دعواه.

قال الذهبي (١٤/ ٣١٦): (ولا ريب أن اتباع الرسول r علم لمحبة الله لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١])[١٠].

ونقل قول بعضهم أنه لما أرادوا قتل الحلاج أُحضر لذلك الفقهاء، فسألوه: ما البرهان؟ قال: شواهد يلبسها الحق لأهل الإخلاص، يجذب في النفوس إليها جاذب القبول، فقالوا بأجمعهم: هذا كلام أهل الزندقة.

قال الذهبي (١٤/ ٣٣٠): (فنقول: بل من وزن نفسه، وزمَّها بالكتاب والسنة؛ فهو صاحب برهان وحجة، فما أخيب سهم من فاته ذلك!)[١١].

وهكذا ينبغي على المسلم أن يستسلم للنصوص الشرعية، ولا يعارضها بشيء من المعارضات التي سقط في هوتها السحيقة من يعارضها بذوقه ووجده وكشفه، وهذا فرقان الصادق في سلوكه إذا لاح له الدليل رجع إليه، وبين من أغرته مواجيده فقدمها على الشرع، نعوذ بالله من الخذلان.

رابعًا ـ ترك العلم والإقبال على رموز الباطنية وحقائق الاتحادية:

قد سبق أن الطريق الموصل لغاية الفناء هو الرياضة والمقامات التي رتبها الشيوخ، ويجب على المريد أن يتحكم لشيخه ولا يعارضه ولو كان على معصية، ولأن العلم يفضح حقيقة أمرهم وعبث الباطنية بهم، ويهتك سترهم وانقيادهم لحقائق الاتحادية، فلا غرو إن عدوه قاطعًا للطريق وحذروا منه مريديهم، وطالما قرأنا في كتب الصوفية ما يؤيد عزوفهم عنه، بل وتحذير مريديهم منه.

ومن هنا نفسر العداء الذي ناصبوه للفقهاء، وأنهم محجوبون لا يفقهون طريقهم، ودارت المعارك بين الفريقين؛ فريق يرى التسليم المطلق للشيخ، وآخر يوجب الرجوع إلى الدليل، وقد وقف صاحبنا الذهبي في صفوف العلماء الفقهاء الذابين عن شرع الله، وصال بالنصوص وجال بها في ميدان النزاع مع الذين حملوا لواء الحق، وشدوا وأوجفوا بركابه، حتى صرعت شبهات الصوفية.

- **الزهد في الحديث:**

قال إبراهيم بن أحمد الطبري: سمعت الخلدي يقول: مضيت إلى عباس الدوري وأنا حدث، فكتبت عنه مجلسًا وخرجت، فلقيني صوفي، فقال: أيش هذا؟ فأريته، فقال: ويحك، تدع علم الخرق، وتأخذ علم الورق! ثم خرق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عباس، ووقفت بعرفة ستًّا وخمسين وقفة.

قال الذهبي (١٥/ ٥٥٩): (ما ذا إلا صوفي جاهل يمزق الأحاديث النبوية، ويحض على أمر مجهول، فما أحوجه إلى العلم!)[١٢].

- **العكوف على رموز الباطنية:**

قال الحافظ أبو سعيد النقاش في كتاب «طبقات الصوفية»: محمد بن منصور الطوسي، أستاذ أبي سعيد الخراز، وأبي العباس بن مسروق، كتب الحديث الكثير ورواه.

قال الذهبي (١٢/ ٢١٣): (متى رأيت الصوفي مكبًّا على الحديث فثق به، ومتى رأيته نائيًا عن الحديث فلا تفرح به، لاسيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوف على ترهات الصوفية، ورموز الباطنية، نسأل الله السلامة، كما قال ابن المبارك: وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها)[١٣].

- **الإقبال على حقائق الاتحادية:**

نقل عن أبي شريح أنه قال لتلاميذه حين كثرت المسائل عليهم: قد درنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق، فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقسي القلب، وتورث العداوة.

قال الذهبي (٧/ ١٨٣): (صدق والله، فما الظن إذا كانت مسائل الأصول ولوازم الكلام في معارضة النص،

فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟! فكيف إذا كانت من حقائق «الاتحادية»، وزندقة «السبعينية»، ومرق «الباطنية «؟! فواغربتاه، ويا قلة ناصراه، آمنت بالله، ولا قوة إلا بالله)[١٤].

وهكذا فليكن العالم ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين، ولا يغشهم في مجاراة هؤلاء الذين ارتضوا غير هدي الرسول ﷺ.

خامسًا ـ نصيحتان في التزام السنة:

ومن تعليقاته المفيدة نورد نصيحتين تنسجمان مع السياق الذي نحن بصدد الخوض فيه:

قال الذهبي (١٢/ ٨٩): (الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقد قال النبي ﷺ: ((**لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**))[١٥]، فلم يشرع لنا الرهبانية ولا التمزق ولا الوصال، بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة؛ فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى، ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧]، وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا ﷺ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

ثم العابد العري من العلم، متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس وسمع خطابًا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب ـ والله ـ في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه؛ فالخلوة والجوع أبو جاد الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء)[١٦].

وقال (٣/ ٨٥): (وكل من لم يزم نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية؛ يندم ويترهب ويسوء مزاجه ، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرءوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال r معلما للأمة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يبعث بها؛ فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي.

فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنبنا الهوى والمخالفة)[١٧].

الخلاصة:

والذي نخلص إليه في ختام هذا المقام معالم بارزة اتصفت بها هذه التعليقات، يمكن إجمالها في خمسة أمور:

أولًا ـ الوصية بالتمسك بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما، والحض على الأخذ بهما؛ إذ فيهما الهدى والحق وبيان المنهج الصحيح، فلا يسع المسلم إلا الوقوف عندهما والعكوف عليهما؛ حتى ينجو من مضلات الفتن والفرق المنحرفة، وارجع إلى عبارات الذهبي التي يشي بها التعليق مثل: (فما أحسن التقيد بمتابعة السنن والعلم!)، ومثل: (فاجزم بهذا، واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح!)، وغيرهما.

ثانيًا ـ التحذير من مسالك المنحرفين، ونتائج بعدهم عن الحق بأخذهم مناهج الضالين وقد نهوا عنها، وقد تسببت الرياضة الفلسفية في الدخول في متاهات الوحدة التي زينها الشيطان بلباس الفناء، فكان الذهبي كثيرًا ما يعلق على أصحابها بمثل: (فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر)، (وطمع فيه الشيطان، وادعى الوصول)، (فدخل من بابه ـ الفناء ـ كل إلحادي وكل زنديق).

ثالثًا ـ التوازن بين العلم والزهد الحقيقي الوارد في هديه عليه الصلاة والسلام، والذهبي يرى أنه لابد من تحقيق هذا التوازن؛ فلا يجنح العالم دون أن يكون له من الزهديات ما يزينه، كما لا يحلق الزاهد في الرقائق دون أن يقيد سيره بالعلم، فمن أقواله: (والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من

علم السنة، زل عن سواء السبيل)، كما أن يرى أن الصوفي إن كان صادقًا فإنه لا يعارض الشرع بشيء من طريقته، ويلزم عتبة العلم والحديث فيتبن لنا صدقه.

رابعًا ـ بيان سير السلف ويسر الدين، وعبادتهم التي تلقوها عن النبي r، والزهد الذي هو شعار المسلم قبل أن يلوثه الصوفية بطرائقهم، (فما أخيب سهم من فاته ذلك).

وحصر التصوف في الزهد عزيز بعد أن انتهى أمره إلى عشاق الفناء والمجاذيب والشاطحين، حتى صح في سبيل الزاهدين قول كعب:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها

إلا العتاق النجيات المراسيل

خامسًا ـ بلاغة الإمام الذهبي في التعبير واللطافة في الأسلوب، الذي ينم عن علم وأدب غزيرين؛ فتأمل عبارته مثل:

- (بل هو سماع كلام في الدماغ الذي قد طاش وفاش).
- (وإلا فاصرعه وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه).
- (فواغربتاه، ويا قلة ناصراه، آمنت بالله، ولا قوة إلا بالله).

والله نسأله أن يهدينا سبل السلام، ويجنبنا مسالك الردى والضلال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهامش:

١. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/ ٢٥٦).

٢. رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، (١٥٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٥٤٧).

٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/ ٥٧٦).

٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/ ٣٩١).

٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٢/ ١٢٢).

٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٥/ ٣٩٣)، وتتمة كلامه: (وإنما أراد قدماء الصوفية بالفناء نسيان المخلوقات وتركها، وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله، ولا يسلم إليهم هذا أيضا، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها، وتعظيم خالقها، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[يونس: ١٠١]، وقالﷺ: ((**حبب إلي النساء والطيب**))[رواه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، (٣٩٥٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٣٩٤٠)]، وقال: ((**كأنك علمت حبنا للحم**)[رواه أحمد في مسنده، (١٥٢١٨)، وإسناده صحيح] ، وكان يحب عائشة، ويحب أباها، ويحب أسامة، ويحب سبطيه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه، ويحب الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قط).

٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٥/ ٤٠٩)، وتتمة كلامه: (فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد r من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل).

٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٦/ ٨٦).

٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٤٧٢).

١٠. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/ ٣١٦).

١١. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/ ٣٣٠).

١٢. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٥/ ٥٥٩).

١٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٢/ ٢١٣).

١٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٧/ ١٨٣).

١٥. متفق عليه، رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (٣٤٦٩).

١٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٢/ ٨٩)، وتتمة كلامه: (بل السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم.)

١٧. سير أعلام النبلاء ،الذهبي ،(٣/ ٨٥).

كيف تدعين زوجك الصوفي؟!

جيهان أبو زيد

الدعوة إلى الله ﷻ هي المهمة التي من أجلها أرسل الله ﷻ الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها من أحسن الأفعال والأقوال؛ فقال ﷻ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فليس في الأقوال قولا أفضل من الدعوة إلى الله ﷻ، قال في الجلالين: (أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى الله)[١].

وقال السعدي: (هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: كلامًا وطريقة وحالة، ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢].

وهذه الدعوة إلى الله ﷻ يزداد شأنها وأهميتها إذا كان المحتاج إليها من العشيرة والأهل الأقربين، ولهذا جاءت الدعوة الربانية إلى النبي محمد r في بدء الرسالة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وعندما نتأمل دعوة الأنبياء والرسل؛ سنجد أن كلماتهم الأولى كانت لهذه العشيرة والأهل، فسجَّل القرآن دعوة إبراهيم لأبيه آزر؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٧٤]، وعلى إثره كان بقية الأنبياء والرسل.

وقد ابتلى الله ﷻ بعض هؤلاء الأنبياء والرسل بنفر من أهلهم وذويهم، لا يقتصر أمرهم على رفض الدعوة والرسالة؛ ولكن يذهبون يعادون الهدي الرباني، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، على نحو ما كان من أبي لهب عم النبي r وامرأته من رسالة الإسلام، وما كان من زوجتي نوح ولوط عليهما السلام، اللتين قص الله شأنهما في القرآن فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

وقريب من نهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله U، والابتلاء الذي يعترض طريقهم، وصدود بعض الأقربين والأهل؛ ما يكون من شأن الصالحين والعلماء، الذين ساروا على ذات النهج الرسالي في الدعوة إلى الله ﷻ.

وقد عرض رب البرية أنموذجًا لامرأة صالحة عانت من مخالفة أقرب الأقربين، وهي امرأة فرعون؛ فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

وليس بالضرورة أن يكون الخلاف بين الزوج والزوجة خلاف كفر وإيمان يقتضي المفاصلة، على نحو ما كان بين فرعون وامرأته؛ فقد تتعد صور الاختلاف، ومن ذلك أن يتلبس الزوج ببدع، كبدعة الصوفية أو غيرها، ومن هنا يأتي التساؤل عن المسلك الذي ينبغي أن تسلكه الزوجة في دعوة زوجها إلى السنة، والسير على ما كان عليه صحابة النبي محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

ركائز أساسية

ونحن بصدد الإجابة على هذا التساؤل نقول: إن الزوجة الصالحة التي ابتليت بهذا الأمر، لابد وأن تستصحب في دعوتها لزوجها ركيزتين أساسيتين، وهما:

الركيزة الأولى: ضرورة أن تعطي الزوجة الصالحة لزوجها هذا الذي تلبس بهذه البدعة حقه الشرعي الذي أمر الله ﷻ به،

من حسن السمع والطاعة في غير ما معصية تُغضب الرب جلا وعلا، وإنزاله المنزلة اللائقة به كزوج من احترام وحسن أدب وتبعل.

الركيزة الثانية: مفارقته في بدعته، وألا ينسحب حقه كزوج على ما تلبس به من بدع وخرافات، فهذه الأمور مردودة على صاحبها، كما أخبر النبي ﷺ: **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))**[٣]، ومن ثم؛ فلا مداهنة في الباطل، ولا تمييع لجناب التوحيد، حتى وإن كان المخالف هو الزوج.

منطلقات وثوابت دعوية

ومن بعد هذا، تحتاج الزوجة الصالحة التي أخذت على عاتقها مهمة إرشاد زوجها، وإخراجه من نطاق البدعة المذمومة إلى رياض السنة المطهرة، إلى مجموعة من الأسس التي لا غنى عنها للداعية في شتى مجالات الدعوة إلى الله U، ولعل أهمها:

أولًا ـ أن تعلم أن ما تقوم به من دعوة زوجها وجهادها لإخراجه من بدعته هو من قبيل الواجبات، لا المندوبات ولا المستحبات؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة ماضية إلى يوم الدين، كل بحسب طاقته ووسعه، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

ثانيًا ـ حسن توجيه الدعوة والتلطف واللين في النصيحة؛ فالغلظة والخشونة والعنف في الدعوة تنفر من الاستجابة، وتغلق القلوب قبل الآذان عن الاستجابة للحق، ولو كان واضحًا ظاهرًا كالشمس في رابعة النهار، وهذا ما أرشد إليه الحق تبارك وتعالى أنبيائه ورسله، فقال لموسى وهارون قبيل ذهابهما لفرعون الطاغية المتكبر: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثالثًا ـ أن تتعرف الزوجة الصالحة والداعية على ما معها من أسلحة فعالة في التأثير الايجابي على زوجها؛ فكثيرًا ما يفشل الحوار ولو كان بلغة المنطق والبرهان، وقد تعجز الزوجة عن تحقيق نتيجة بهذا الأسلوب، ولكن يمكنها التوصل إلى نتيجة بلغة التودد والإحسان؛ ذلك أن إتقان المرأة للغة التودد أفضل من إتقانها للغة الأخرى، ومن مفردات لغة الحوار بالتودد: التقديم بذكر جميل الزوج وكريم خصاله، والدعاء له بالهداية والرشاد، وأنها ما تبغي له إلا الخير، وأن يكون رفيقًا لها في الجنة، ثم ذكر ما يراد تغييره أو نقده بعد ذلك بطريقة لبقة حكيمة، مع اجتناب العبارات الخشنة والحادة.

رابعًا ـ استفراغ كل ما في الوسع والجهد في سبيل استجابة المدعو إلى سبيل الصلاح والرشد، بتنوع الطرق والأساليب، على نحو ما فعل نوح مع قومه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩].

خامسًا ـ أن تعلم الزوجة الصالحة أن المطلوب هو بذل الجهد وإخلاص العمل لله ﷻ، ثم النتائج حسابها على الله تعالى، وليس للعبد من سبيل عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذا يقتضي بذل ما في الوسع دون أن يتسلل الملل أو اليأس إلى قلب الزوجة الصالحة، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء، كما أخبر بذلك النبي الكريم ﷺ بقوله: **((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء))**، ثم قال رسول الله ﷺ: **((اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك))**[4].

طرق الدعوة والبيان

وعلى هذه الزوجة الصالحة بعد ذلك، أن تدرك أن الانحراف عن الحق والوقوع في الزلات والخطأ كما هو حال زوجها، لا تعدو أسبابه الفتن الثلاث:

1ـ فتنة الشبهات.

2ـ فتنة الشهوات.

3ـ فتنة الجمع بين الشبهة والشهوة "لبس الحق بالباطل".

(فكل انحراف أو ضلال أو خطأ صغير أو كبير لا يخرج في دوافعه عن الأسباب السابقة)[5].

يقول ابن القيم رحمة الله: (والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما)[6].

وإذا كانت فتنة هذا الزوج الصوفي من قبيل الشبهات، فثمة عناصر ثلاثة يكمل بعضها بعضًا، بحيث يمكنها بفضل من الله أن تزيل ما علق بعقله وقلبه من شبهات، وتبين له طريق الصواب، طريق أهل السنة والجماعة، السائرين على نهج النبوة، وهذه العناصر هي:

أولًا ـ بيان معتقد أهل السنة والجماعة:

على هذه الزوجة الحريصة على هداية زوجها أن تدرك أن (فتنة الشبهات هذه التي يتلبس بها الزوج، تأتي من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهي تنشأ من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع)[7].

وعلى ذلك؛ فإن الخطوة الأولى في دعوة هذا الزوج الصوفي، هي في تبيين العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة، بسلاسة ويسر، دون تعقيدات فلسفية وأقوال تذهب الحق وتتركه ملتبسًا في ذهن المستمع، وأن تعتمد الزوجة في التدليل على صحة هذا المعتقد على الأدلة الصحيحة الثبوتية، التي لا يستطيع الزوج لها ردًّا أو تشكيكًا.

ثانيًا ـ رد الشبهات:

قد لا يكفي العرض والبيان للعقيدة الصحيحة بالمطلوب، ولا يزيل ما قد التبس في ذهن الزوج الصوفي من أباطيل وخرافات؛ فصورة الإسلام وصورة السنة في نظره مشوهة، حتى بعد البيان والعرض لهذه المعتقد، وربما نكون قد ألزمناه وأسكتناه بالحجة والبرهان، لكنه مع ذلك لا يهتدي إلى الحق ولا يقر به؛ لأنه صورته تبقى في ذهنه مشوشة وغير صحيحة، ومن هنا يأتي دور رد الشبهات.

فلا يكفي إذًا أن نبين الحق، بل نحتاج إلى أن نلحقه برد الشبهات؛ حتى نستكمل عناصر التأثير في عقل وقلب هذا الزوج الصوفي.

ثالثًا ـ توضيح ما أشكل عليه:

وذلك بأن نعرض إلى ما هو ملتبس عند الزوج ونُصحِّح له فهمه؛ فقد لا يعلم الصوفي مثلًا أن كرامات الأولياء عند أهل السنة موجودة، ويقرون بها لكن بضوابط، فنزيل هذا اللبس بعرض عقيدة أهل السنة في هذه القضية، بذكر أقوال أهل العلم فيها، والمستندة إلى الأدلة الصحيحة الثابتة.

فالشيء الواحد كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (تكون صورته واحدة، وهو منقسم إلى مذموم ومحمود)[8]، وذلك حسب ما يتلبس به، وما يدركه الشخص عنه وعن ماهيته.

فإذا استوفت الزوجة الصالحة هذه الطرق الثلاث ببيان العقيدة الصحيحة النقية، وما يطرأ من شبهات على قلب زوجها وعقله، ورفعت اللبس الحادث والتصورات الخاطئة؛ (فإن الاستبانة لسبيل المؤمنين وسبيل المجرمين قد تحققت، ولهذا لا مجال للشبهة هنا لانتفاء الجهل الذي تثور منه)[9].

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولهذا جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبكمال العقل والصبر تدفع الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة)[10].

ويبقى على الزوجة بعد بيانها هذا واستكمالها للعناصر الثلاثة، أن تعرض لزوجها بعض مظاهر الفتن التي يتعرض لها إذا هو أصر على مسلكه هذا المنحرف، ومن ذلك عدم قبول عمله، مسترشدة بقول النبي محمد صلى الله عليه سلم: ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**))[11].

ومن قبيل ذلك أيضًا تحذيره من فتن أشد مما هو متلبس بها، قد يقع فيها جزاء مخالفته النهج الرباني والنبوي، كما قال ﷻ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

ومن ذلك أيضًا تحذيره من خسارة شفاعة النبي يوم القيامة إن هو أصر على مخالفته؛ لقوله صلى الله عليه سلم: ((**إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب، مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**))[12].

وتحذيره من الإثم الذي يحمله إذا اقتدى به غيره في بدعته، لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وأخيرًا، فإن على الزوجة الصالحة أن تستعين أولًا بالله ﷻ، في أداء مهمتها العظيمة هذه ، وأن تتخير الأوقات المناسبة؛ فتدعو الله ﷻ أن يهدي لها زوجها، ويقذف في قلبه الحق والنور المبين، يقول الإمام ابن القيم رحمة الله تعالى: (شهدت شيخ الإسلام قدس الله روحه إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه، فر منها إلى التوبة والاستغفار، والاستغاثة بالله واللجوء إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته)[13].

ثم عليها بعد ذلك أن تستعين بأهل العلم والورع، ليكونوا عونًا لها على هداية زوجها بمصاحبته ومجالسته؛ (لأنه بالعلم الذي عندهم تحترق الشبهات، وبالتقوى والورع لديهم تحترق الشهوات، وبذلك يُسد على الشيطان البابان الرئيسان اللذان يدخل منهما ليلبس على النفس ويزين لها التلبيس)[14].

هامش:

١. تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ص(٦٣٤).
٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص(٤٨٠).
٣. متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا أصلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٤٥٨٩).
٤. رواه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى للقلوب كيف شاء، (٦٩٢١).
5. ولا تلبسوا الحق بالباطل، عبد العزيز ناصر الجليل، دار الصفوة، الطبعة الثانية، 1418 هـ، ص(31).
٦. إغاثة اللهفان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ، (٢/ ١٦٥).
٧. إغاثة اللهفان، ابن القيم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ، (٢/ ١٦٥).
٨. الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ، ص(٢٣٠).
9. ولا تلبسوا الحق بالباطل، عبد العزيز ناصر الجليل، ص(208).
١٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، (٢/ ١٦٧).
١١. متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا أصلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٤٥٨٩).
١٢. متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب في الحوض، (٦٥٩٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، (٦١١٢).
١٣. إعلام الموقعين، ابن القيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، (٤/ ١٧٨).
١٤. ولا تلبسوا الحق بالباطل، عبد العزيز ناصر الجليل، ص(٢٢٧).

الصوفية والسياسة ... الدراويش وصراع البقاء

أم ثائر «فاطمة عبدالرءوف»

يعتقد الكثيرون وللوهلة الأولى أن محاولة الربط في الحديث بين الصوفية والسياسة هو حديث متعسف ومصطنع، (إذ يبدو للمتعجل أن السياسة والتصوف خصمان لا ينصالحان، وخطان متنافران لا يلتقيان؛ فالسياسة عملية اجتماعية حركية والتصوف تجربة ذاتية انكفائية، تبتعد عن السياسة بقدر ابتعادها عن مشاغل الحياة، وتكالب البشر عن الدنيا)[١].

إلا أن هذا الكلام يصبح منافيًا للدقة إزاء ذلك التطور الحادث في مفهومي السياسة والتصوف؛ فالتصوف لم يعد مسألة فردية ، بل أخذ شكلًا مؤسسيًّا، متمثلًا في الطرق الصوفية التي وصل عددها إلى ما يقرب من سبعين طريقة في مصر وحدها، أي بما يعادل أو يزيد قليلًا على ثلاثة أضعاف عدد الأحزاب السياسية البالغ عددها ٢٤ حزبًا، في حين لم تعد السياسة مقصورة على سلوك الدولة والحكام، بل تمتد لتشمل حتى أساليب تربية الأطفال داخل الأسرة، وكيف أنها تضع القيم التي تحدد الاتجاهات السياسية للفرد فيما بعد، فضلًا عن أن الأبواب بين ما هو ديني وما هو سياسي مفتوحة على مصراعيها؛ فالدوافع الدينية كما يقول إريك فروم: (مصدر مهم للطاقة الدافعة لإنجاز التغيير الاجتماعي)[٢].

أمريكا والصوفية

لقد مثلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١ م صدمة كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية، دفعتها إلى دراسة إمكانية تعميم الصوفية؛ بحيث تصبح هي الشكل المستقبلي للإسلام، أو على الأقل تقوي شوكتها على الساحة الإسلامية، لتخصم من رصيد الجماعات والتنظيمات السياسية المتطرفة ـ حسب المقياس الأمريكي ـ ذات الإسناد الإسلامي، التي أنتجت تنظيم القاعدة ومن على شاكلته[٣].

ومن ذلك مثلًا ذلك التقرير الذي أصدرته مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث عام٢٠٠٧ ، والذي رصدت خلاله الصراع الغربي مع العالم المسلم وحركاته السياسية، معتبرة أن هذا الصراع لن يتم حسمه عسكريًّا بل ثقافيًّا، ومطالبة في الوقت نفسه بالتعامل مع من أسماهم بالإسلاميين التقليديين، وعرفهم بأنهم الذين يقبلون بالصلاة في الأضرحة والقبور، في إشارة واضحة للتيار الصوفي.

وتهدف الولايات المتحدة من وراء ذلك إلى محاربة التيارات الإسلامية التي تتصدى للعدوان الأمريكي، وذلك تحت شعار «محاربة الإرهاب»، والذي لا تكفي في محاربته القوة المادية والعسكرية، يقول بول وولفيتز: (إن معركتنا هي معركة الأفكار ومعركة العقول، ولكي ننتصر على الإرهاب لابد من الانتصار في ساحة الحرب على الأفكار)[٤].

بل لقد (عبر عن هذا التوجه مجموعة من المقالات صدرت في مجلة «النيوزويك»، حول بناء اتجاهات داخل

الإسلام، تراه كنظام للصفاء الداخلي وليس نظامًا للكون والتشريع العام، وقد اتفقت على هذه الرؤية بعض النظم الحاكمة العربية والإسلامية والولايات المتحدة والغرب، وقد وجدوا بغيتهم المنشودة في الجماعات الصوفية المنتشرة في أرجاء العالم؛ فبدأوا في تنفيذ مخططاتهم عبر هذه الجماعات، والتي أيَّدت في بعض الأحيان ورحَّبت ترحيبًا كبيرًا - إن لم يكن تامًّا - في هذا الشأن)[٥].

يقول الباحث الدكتور عبد الوهاب المسيري: (مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية؛ فمن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلفات محي الدين بن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة، يضعف ولاشك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي)[٦].

وهنا يتضح أن الإدارة الأمريكية تتعاطى مع الصوفية في العالم الإسلامي باعتبارهم جماعات سياسية وظيفية، يجب دعمها وتقويتها بهدف ضرب التيارات الإسلامية الأخرى المناهضة لسياستها المتغطرسة في المنطقة.

الصوفية والحكم

يقول الفرنسي المسلم»إريك جيوفروي» المختص في الصوفية بجامعة لوكسمبورج بشمال فرنسا في حوار صحفي: (إننا نجد أن الأنظمة العربية عملت على إدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربة الظاهرة الإسلامية؛ فوزير الأوقاف المغربي أحمد التوفيق صوفي، كما أن الشيخ أحمد الطيب في مصر - وهو خلوتي - أصبح رئيس جامعة الأزهر بعد أن كان مفتيًا للديار المصرية، وفي الجزائر نجد أن بوتفليقة قريب جدًّا من الصوفية، وهو ما برز في حملته الأخيرة)[٧].

يضاف إلى ذلك النموذج التركي؛ حيث استطاع أتباع الطريقة النقشبندية أن يصلوا إلى الحكم، بل ويقدموا أنموذجًا للحكم الصوفي الذي استوعب قيم العلمانية، وتمكن من تطوير رؤيته الدينية لتواكب العصر وتتمشى مع النهج الديمقراطي، على مستوى القيم والإجراءات، بحسب ما يدعو إليه الغرب وينشده.

والأمر ليس مقصورًا عند حد نجاح بعض الطرق الصوفية أو الشخصيات المتصوفة لاحتلال مواقع سياسية بارزة فحسب، بل إن ذلك تعدى إلى تشكيل هذه الطرق الصوفية، المنتشرة في العديد من البلدان العربية والإسلامية لقوة ضغط كبيرة؛ (إذ لم تقف الصوفية عند حدود شراذم الزهاد والمتنسكين، بل امتثلت في طرق لها قاعدتها الجماهيرية وإدارتها المالية وقادتها البارزين)[٨].

د/ عبد الوهاب المسيري: (العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية)

كما أنه (أصبح لها شكل مؤسسي قائم بذاته، وله علاقاته السياسية والاجتماعية المختلفة؛ فتحويل العقيدة أو الروحانيات إلى منهج تطبيقي في الواقع يتطلب تواجد حركة أو ممارسة فاعلة وفعالة على المستوى الجماعي، تفترض وجود مؤسسة تقوم على تربية الأفراد والدفاع عن مصالحهم، وتجنيد لمزيد منهم لضمان البقاء والاستمرار)[٩].

في مقابل ذلك، فقد عملت العديد من الأنظمة على توظيف الجماعات الصوفية لتثبيت دعائمها واستمرار تأييدها، ومن ذلك مثلًا (أن النظام السياسي الحاكم في مصر أنشأ المؤسسة الصوفية، وساعدها على الاستمرار والنهوض حتى وصلت إلى شكلها الراهن؛ وذلك من أجل تثبيت شرعيته السياسية، متخذًا التدين الصوفي أداة في مواجهة التدين الحركي الذي يعارض النظام)[١٠].

المعرفة السياسية

لعل النظر في الكثير من أقوال المتصوفة الأوائل يكشف عن جانب مهم وعميق في أصل التصوف، وهو العزلة والزهد وترك الدنيا، فهي مما لا يعنيهم، يقول السراج

الطوسي في كتابه اللمع: (المتصوفة هم من يتركون ما لا يعنيهم، ويقطعون كل علاقة تحول بينهم وبين مقصودهم ومطلوبهم وهو الله ا، ثم لهم آداب وأحوال شتى؛ منها القناعة بالقليل، والاختصار على ما لابد منه من حاجات الدنيا من الملبوس والمأكول والمفروش، واختيار الفقر على الغني اختيارًا، ومعانقة القلة، ومجانبة الكثير، وإيثار الجوع على الشبع، والشفقة على الخلق والتواضع للصغير والكبير، والتوجه إلى الله ا والانقطاع إليه)، كذلك فإن الفكر الصوفي يقوم في لغته وقضاياه على أربعة أركان، هي: الزهد والمعرفة والمحبة والولاية، مما ينتج ثقافة سياسية معينة يربى عليها المريدون والمنخرطون داخل الطرق الصوفية المتعددة.

ففيما يخص الزهد نرى أنه خلق يمكن أن يُوجد معه قيمًا سياسية متعارضة بعضها سلبي وبعضها إيجابي؛ فالزهد في الدنيا يتضمن الزهد في السياسة باعتبارها ممارسة دنيوية يجب الابتعاد عنها، وهو الموقف الذي اتخذه مثلًا عبد الوهاب الشعراني ـ وهو من كبار المتصوفة ـ إزاء العمل السياسي، إذ قال: (مما أنعم الله به عليَّ حمايتي من أن أكون قاضيًا أو حاكمًا أو شاهدًا لخفاء أغلب القضايا على الناس من الحكام).

بل ويقول أيضًا: (مما أنعم الله تعالى به عليَّ عدم وقوفي على حاكم إذا نازعني في بيتي، أو في النظر على زاويتي أو في رزقي، بل أترك ذلك له؛ لأن الدنيا أهون عندي من أن أقف لأجلها على حاكم، وأستحي بحمد الله تعالى أن أكذب مسلمًا فيما يدعيه عليَّ منها، فأنا تساوت عندي الأماكن، فمن نازعك في دينك فنازعه، ومن نازعك في دنياك فألقها على نحره).

على العكس من ذلك، فإن الزهد قد يخلف قيمًا سياسية إيجابية في اتجاه الانخراط والمشاركة، ومقاومة التسلط والفساد؛ فالزهد في الماديات من ثروة أو منصب يعني عدم الخضوع للسلطة التي تقوم بتوزيع الموارد والمناصب، وتملك أدوات تضييق أرزاق معارضيها، خاصة في العالم الثالث، فالزاهد على هذا الأساس أكثر قدرة من غيره على المقاومة والتمرد ضد الطغيان؛ لأنه مستغنٍ عن الشيء الذي يهيمن به السلطان على الناس.

وفي هذا الشأن يقول الشعراني: (لقد رزقني الله تعالى القناعة، فلو أني وجدت كسرة يابسة قنعت بها، ومن كان كذلك لا يحتاج إلى مال السلطان)[١١]، لكن الواقع يؤكد أن ما تبناه الصوفية من مفاهيم خاصة بالزهد والابتعاد عن الحياة ومشاغلها، غير مطابق لما دعا إليه الإسلام الذي حث أتباعه على الزهد فيما في أيدي الناس، في الوقت الذي يجب على المسلمين العمل على الإصلاح، ورفض الظلم والوقوف بقوة ضد كل ما يهدد الأمة الإسلامية وكيانها.

أما فيما يخص المعرفة فإن الصوفية لا يعتقدون في تحصيلها بالعقل أو بالتجريب؛ إذ يستخدمون الكشف والذوق الصوفي لإدراك الحقائق المستترة وراء المحسوس، وهو (أشبه بومضة سريعة الزوال ويجي بعد رياضة بدنية ومعاناة نفسية)[١٢].

ويعني ذلك أن المعرفة لدى الصوفية معرفة مباشرة لا تحتاج إلى وسائط من مقدمات أو قضايا أو براهين، وهي فوق العقل لا يملكها إلا من سلك التصوف؛ فهي علم باطني كشفي لا يخضع لبرهان العقل، يقول القشيري في رسالته: (لو أن رجلًا جمع العلوم كلها وصحب كل طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذه يريه أعماله ورعونة نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات)[١٣].

ويلاحظ هنا أن هذا المفهوم الخاص بالمعرفة يدعم قيم التسلط، نظرًا لوجود نموذج معرفي يوجد عقلًا مغلقًا يدعي امتلاك الحقيقة؛ لأنه على إقبال مباشر بالذات العليا؛ فلا مجال فيها لبرهان العقل، فهي هبة إلهية.

وتأتي الولاية ـ أحد أركان الفكر الصوفي ـ داعمة للفكر الاستبدادي داخل التصوف، والتي تنطوي على شكل رمزي يشبه فكرة الإمامة عند الشيعة؛ فالولي معصوم من الخطأ، وله حق العلم الباطني الذي يأتيه إلهامًا من الله، وله حق الوصاية على الأتباع، لذا؛ تبقى السلطة في أهله وتنتقل وراثيًا بينهم.

الصوفية والسلطة

إن الناظر في العلاقة بين الصوفية والسلطة من خلال النموذج المصري مثلًا، يتأكد أنها علاقة قديمة بقدم نشأة المنهج الصوفي، الذي تعود نشأته إلى منتصف القرن الثالث الهجري، فضلًا عن أنها تحفل بالمواقف والمفارقات، التي

تظهر مدى حرص كل منهما على الآخر لتحصيل منفعة متبادلة بالنسبة للسلطان، تتعلق بخلق الشرعية والحفاظ على الاستقرار، وبالنسبة للمتصوفة ترتبط بمصالح مادية ومكانة اجتماعية وحظوة لدى الحكام، وضمان للبقاء والاستمرار.

فقد أدركت السلطات عبر أزمنة متعاقبة ما للطرق الصوفية من أهمية في المجتمع المصري؛ (إذ أنها تشكل جماعات «ثانوية»من حيث دورها في التنشئة؛ فالجماعة الثانوية تتسم بالانتشار المتكافئ الواسع، والعدد الكبير لأعضائها، وهي مستمرة عبر فترة طويلة من الزمن، وتقوم على العلاقات التطوعية والمصلحية، وتكمل الجماعات الأولية مثل الأسرة وجماعات الرفاق، بل وتحل محلها في بعض الأحيان، وهي جماعات مفتوحة أمام أي شخص يرغب في الالتحاق بها)[١٤].

ويكفينا في هذا المقام تتبع العلاقة بين الصوفية والسلطة زمن جمال عبد الناصر؛ ففي أعقاب ثورة يوليو1952 م استخدمت السلطة الصوفية لتشبيت شرعيتها وتبرير سياستها؛ حتى يمكن إيجاد شرعية اجتماعية وسياسية للمشروع الاشتراكي وحرب اليمن، وتبرير هزيمة يونيو ١٩٦٧م، والتعبئة للمعركة ورفع معنويات القوات المسلحة.

كذلك استطاع جمال عبد الناصر أن يجعل من الطرق الصوفية أداة طيعة في مواجهة جماعة الإخوان المسلمين، الذين تصاعد خلافهم مع عبد الناصر في هذا الوقت، حتى يبدو للجماهير أنه ليس في حالة عداء مع الدين أو التدين، وهو ما يفسر تلك العلاقة الحسنة بين النظام وبعض القيادات الصوفية التي كانت تربطها علاقة جيدة مع القصر قبل الثورة؛ إذ لم يتم التعامل معهم كما تم التعامل مع الكثيرين من رجالات العهد البائد.

ولم يخب بالطبع ظن النظام الناصري؛ فقد حظيت الثورة ورجالها بكل التأييد والمباركة من الطرق الصوفية؛ ففي إحدى المطبوعات الصادرة عن المشيخة العامة للطرق الصوفية تقول: (جاءت الثورة المباركة وجاءت معها روح الإيمان والتوثب، وأشرق الوادي الكريم بنور الأمل، وانبعث الشعب العريق للجهاد والعمل، وأخذت يد الإصلاح تبني وتشيد وتبعث الطاقات المدخرة، وما كان للتصوف الإسلامي أن يتخلف عن موكب الحياة وفجر النهضة).

لقد بلغت العلاقة بين الصوفية وعبد الناصر إلى درجة أن يقول شعراوي جمعة وزير الداخلية في عهد عبد الناصر: (حينما مات عبد الناصر كان علينا وسط مشاهد الحزن ومشاعره الفياضة، أن نعمل على وضع ترتيبات خاصة لحماية الجثمان، بعد أن وصلتنا معلومات تفيد بأن الطرق الصوفية ستتكالب على النعش، وتخطفه لتطوف به مساجد وأضرحة أولياء الله الصالحين في القاهرة)[١٥].

الهامش:

١. الصوفية والسياسة في مصر، الدكتور عمار علي حسن، ص(٣٠).
٢. الإنسان بين الجوهر والمظهر، إريك فروم، ترجمة سعد زهران، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٤٠).
٣. الصوفية والسياسة في مصر، الدكتور عمار علي حسن، ص(١٠).
٤. تحولات الحركة الإسلامية والإستراتيجية الأمركية، الدكتور كمال حبيب، ص(٢٦٢).
٥. التصوف بين التمكين والمواجهة، أحمد عبد الله المقري، ص(٨).
٦. موقع الجزيرة نت.
٧. حوار مع صحيفة الراية القطرية، ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥م.
٨. حول هياكل الطرق الصوفية في مصر، الدكتور أبو الوفا التفتازاني.
٩. الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية دراسة نقدية مقارنة، هشام جعفر، رسالة ماجستير غير منشورة.
١٠. الصوفية والسياسة في مصر، الدكتور عمار علي حسن، ص(٣٣).
١١. الصوفية والسياسة في مصر، الدكتور عمار علي حسن، ص(٤٩).
١٢. الصحوة الإسلامية الدوافع والعوائق دراسة نفسية، محمد المهدي، ص(٧٥).
١٣. الرسالة القشيرية، ص(٢٦).
١٤. نقلًا عن الصوفية والسياسة في مصر، الدكتور عمار علي حسن، ص(٣٣).
١٥. شعراوي جمعة وشهادته للتاريخ، محمد حامد، جريدة العربي الناصرية، ٢٣/ ٥/ ١٩٩٤م.

مولد السيد البدوي ... مدد يا شيخ العرب

أسامة الهتيمي

«صلوا على رسول الله»، «مداااااااااااااااد يا شيخ العرب»، لا يمكن لقدميك أن تخطو أول خطوة داخل مسجد السيد أحمد البدوي بمدينة طنطا ـ ٩٢ كيلو متر شمال القاهرة ـ إلا وحتمًا تسمع أذناك هذه العبارات التي تتردد على ألسنة العشرات من الدراويش والمجاذيب، الذين يحيطون بالمسجد من كل جانب، يرتدون ثيابًا غريبة، ويلتحفون بأشياء أغرب، وتبدو وجوههم وكأنها لم تلامس الماء منذ عشرات السنين؛ لتعرف ومنذ اللحظة الأولى أيضًا أن طنطا تشهد هذه الأيام مولد السيد أحمد البدوي.

«ليس من سمع كمن رأى»، فمهما سمعت أو قرأت عن الموالد التي تقام في أنحاء مصر شمالها وجنوبها شرقها وغربها، فلن تنتابك تلك الحالة النفسية الغريبة التي تحل عليك عندما تخالط زوار هذه الموالد وتعايش أحداثها، بل وتحاول أن تتفاعل مع هؤلاء الناس الذين حملوا أمتعتهم وتركوا أحوالهم وراء ظهورهم، متجهين إلى هذه الموالد مظنة التقرب لله بزيارة قبور الأولياء، وأملًا في تحقيق كل أمنياتهم بدعوة مستجابة ـ حسب اعتقادهم ـ عند مقامات هؤلاء الأتقياء؛ إذ تستشعر وأنت بين هذه الجموع بأنك انتقلت بروحك وجسدك داخل لوحة من تلك اللوحات، التي تصف عالم الدراويش الذي ولّى.

شخصية البدوي

على مدار مئات السنين ومنذ عام ٦٧٥ هجريًّا ـ العام الذي توفي فيه البدوي ـ يحتفل الآلاف من أبناء الطرق الصوفية بمولد البدوي، الذين يعودون بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، فيعتقدون أنه "أحمد البدوي بن علي المكي بن إبراهيم بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن الحسين بن محمد بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي تقي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الإمام علي الهادي"، وقد عرف بالبدوي والملثم لملازمته اللثام.

ويروي هؤلاء أن البدوي ولد عام ٥٩٦هـ في زقاق الحجر بمدينة فاس المغربية في عهد الخليفة الموحدي الناصر محمد (٦١٠هـ)، ونشأ في بيئة علمية ثم هاجر مع أبيه إلى مكة سنة ٦٠٣هـ وهو ابن ٧ سنوات، واستغرقت الرحلة إلى مكة ٤ سنوات، واستقر فيها من ٦٠٧هـ وحتى وفاة والده سنة ٦٢٧هـ.

وجاء البدوي إلى مصر سنة ٦٣٧هـ، وقيل ٦٣٥هـ، بعد رحلة إلى العراق، قابل فيها عبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي "شيخ الطريقة الرفاعية"، ونزل البدوي ببلدة "طنتدا" التي تعرف الآن بمدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية ضيفًا على أحد تجارها، وهو ركن الدين تاجر الزيت والعسل والعلف، وذلك في ١٤ ربيع الأول ٦٣٧هـ في عهد السلطان العادل الأيوبي بن الكامل محمد.

ويقول هؤلاء إن البدوي آثر

الإقامة على سطح منزل ركن الدين ما يقرب من ١٢ سنة لم يفارقه؛ لذاك عرف "بالسطوحي"، ثم لما مات ركن الدين انتقل البدوي إلى دار ابن شحيط شيخ البلدة، وقضى فيها بقية عمره وهي ٢٦ سنة، حيث توفي في ١٢ ربيع الأول ٦٧٥هـ.

غير أن هناك الكثير من المحققين والمؤرخين الذين يبطلون نسب البدوي، وينفون صحة نسبه للحسين بن علي ﷺ؛ إذ لا يثبت لديهم هذا النسب؛ فقد ذكر الرازي في كتابه الشجرة المباركة أن الحسن بن جعفر بن الإمام علي الهادي من المختلف في كونه أعقب أم لا، مما يعني أن هناك قول للنسابين بأن الحسن المذكور غير معقب.

وأما الشريف بن الطقطقي في كتابه الأصيلي، فلم يذكر من بين المعقبين من أبناء جعفر بن الإمام علي الهادي ابن اسمه الحسن، وكذلك فإن النساب العبيدلي في كتابه (التذكرة في الأنساب المطهرة) لم يذكر لجعفر ابنًا اسمه الحسن، وكذلك فإنَّ ابن عنبة في عمدته لم يذكر لجعفر ابنًا معقبًا اسمه حسن.

وكما أن هناك تشكيك في نسب البدوي، فإن هناك كثيرون أيضًا شككوا في حقيقته وحقيقة دوره؛ إذ يرون أن الرجل وحوادثه لم تكن سوى خطة من خطط إعادة المجد العبيدي الفاطمي - كما يُسَمى - فهي مؤامرة للقضاء على الإسلام، متلبسة بلباس أهل البيت ولكن عن طريق آخر غير صريح ولا مباشر، وهذا هو طريق التصوف؛ حيث يدعي البدوي وأمثاله أنهم من أهل البيت، ولو كان من أبعد بلاد الله تعالى عن جزيرة العرب، فضلًا عن أن يكون عربيًّا، فضلًا عن أن يكون من قريش.

استعدادات كبيرة

ما أن تقترب من ميدان السيد البدوي، لا تخطئ عيناك مشاهدة هذه الاستعدادات الضخمة التي أقامتها الحكومة المصرية بوزاراتها المختلفة لاستقبال زوار مولد البدوي، الذي يمتد لأسبوع كامل؛ إذ تجد أن وزارة الداخلية قد أعدت عدتها ونصبت العديد من "الصواوين"، أحدهما خصصته كنقطة للشرطة العامة والمباحث بها فيها مندوبي أمن الدولة، والآخر لشرطة المطافئ، وثالث لشرطة المرافق، فضلًا عن اثنين من رجالها اللذان يقفان في استقبال الجماهير على باب ساحة المسجد وهم على ظهري جوادين.

في حين تجد "صيوانين" آخرين لوزارة الصحة، أحدهما للكشف والمتابعة وتقديم الإسعافات الأولية، والثاني للحملة القومية للتطعيم، فيما تجد "صيوان" لوزارة التموين يجلس فيه عدد كبير من موظفي وقيادات الوزارة، في انتظار تلقي أية شكاوي مرتبطة بفساد السلع أو التلاعب بالأسعار، كما أكد لنا السيد أحمد زكي أحمد المفتش في الرقابة التموينية.

بالإضافة إلى إعلان مديرية التموين بالمحافظة لحالة الطوارئ استعدادًا للمولد الأحمدي؛ فتقدم مئات الأطنان من الدقيق والسكر لمواجهة حاجات زوار المولد، كذلك لا يمكن أن تغيب وزارة الكهرباء أو وزارة الأوقاف أو محافظة الغربية عن الحدث، فلكل منهم "صيوان" علقت على مدخله لافتة كبيرة، ترحب بالسادة الضيوف والزائرين.

وبجوار "صواوين" الحكومة تقع "صواوين" أخرى للطرق الصوفية المشاركة في احتفال البدوي؛ فهذا "صيوان" للطريقة الأحمدية البدوية، تعلن فيه عن تقديم خدماتها لزوار المولد ومحبي آل البيت، وهذا للطريقة النقشبندية، وهذا للبيومية، وهذا لأبناء العارف بالله أحمد كرامة، والشيخ شلتوت، وآخر لأبناء سيدي صالح الشافعي الخليلي الكبير، وهكذا.

أما مآذن وقبة المسجد البدوي؛ فقد زينت وغطتها الأنوار الملونة من كل جانب، حتى أضحى ليل الباحة التي تفصل بين مدخل المسجد وبوابته وكأنها نهارًا.

مولد يا صاحبي

على باب المسجد تشهد حالة من الازدحام ربما لا يشابهها إلا ما يحدث في الحج للبيت العتيق؛ فأناس داخلون للمسجد وآخرون خارجون منه، وعلى طرفي الباب يقف الدراويش

بملابسهم المثيرة للتعجب والدهشة، ويمسكون في أيديهم بعصى صغيرة، في حين يلتف حولهم العديد من الناس، فيتمسحون بهم ليأخذوا "البركة"، ويعطوهم ما تجود به أيديهم في مقابل تمتمة لا يسمعونها، يحسبها العاطي أدعية مقبولة، كما يجاور هؤلاء الدارويش نساء يحملن بين أيديهن حلى يطلقون عليه "ما شاء الله" لبيعها للزوار، فهي تأتي بالخير للابسها ، فهي بركة من البدوي.

ولا يختلف حال الباب من الداخل عنه في الخارج؛ فما أن تعبر قدماك باب المسجد حتى تشاهد نفس المشهد وإن قلت حدته، نتيجة التواجد الأمني الذي يحاول أن ينظم عملية الدخول والخروج، فضلاً عن أن مدخل مقامي السيد البدوي وسيدي مجاهد لا يبعد سوى مترين على الأكثر من الباب الرئيس.

وبعد عدة خطوات تصبح واقفًا في ساحة المسجد الذي يتسع لآلاف المصلين، فتجد من حولك مئات الأسر المصرية ـ رجالاً ونساء وأطفالاً ـ والتي جاءت من كل أنحاء البلاد؛ حيث احتلت كل أسرة منهم مكانًا في المسجد، اتخذته سكنًا لأيام إقامة المولد، وقد حملوا معهم أمتعتهم؛ فتجد البعض وهم يتناولون الطعام، وآخرون نائمون، وآخرون يتسامرون، وآخرون يتجولون في المسجد، وآخرون قد آثروا الخروج ربما للتسوق أو التجوال في مدينة طنطا.

ولا تعدم مشاهدة البعض من الدراويش الذين اتخذ كل منهم ركنًا في المسجد، وقد جلس ليلتف حوله بعض من الفضوليين، أو أولئك الذين استشعروا أن هؤلاء الدراويش من أصحاب الكرامات والحظوة، وأنه يجب التودد إليهم والتقرب منهم لينالهم "من الحب جانبًا".

وتقع عيناك على هذه المجموعات التي اتخذت بجوار المنبر مكانًا للتجمع والإقامة، مما يعتقدون بأنها حلقات للذكر؛ فهذه مجموعة النقشبندية، وهذه الأحمدية، وهذه لسيدي الشيخ صالح، وهكذا... فتَحْت كل لافتة تحمل اسم طريقة تجلس مجموعة من الناس ـ رجال ونساء وأطفال وشباب وفتيات ـ يقودهم رجل غالبًا ما يرتدي ثوبًا نظيفًا، وعلى رأسه عمامة كبيرة، وتملأ وجهه لحية كثيفة، يجلس مستندًا إلى الحائط، ينشدون الأناشيد ويصفقون بأيديهم، ويتمايلون يمنة ويسرة.

تجربة مثيرة

لم أستطع مقاومة فضولي من الاقتراب من إحدى حلقات الذكر هذه، وأسرتني تجربة المشاركة، وقد كان ذلك حيث انضممت لحلقة الذكر التي أقامتها مجموعة سيدي صالح، حتى يمكنني التعرف عن قرب على ما يفعل هؤلاء، وكالعادة فقد جلست حيث انتهت الحلقة، وكان ذلك بجوار رجل مُسن، يبدو أنه كان في حالة من الوجد والتفاعل بشدة مع تلك الأناشيد، التي كان يرددها شيخهم الذي توسط الحلقة.

حاولت أن أمسك بورقي وقلمي من أجل أن أسجل ملاحظاتي، غير أن عين الشيخ التي كانت تنظر إلي بين الحين والآخر جعلتني في حالة قلق وتوتر، دفعتني إلى محاولة إيهامهم بالتأثر بما ينشدون، وإلا انكشف أمري وعلموا أنني صحفي، ولا يعلم ماذا سيحدث لي ساعتها سوى العليم الخبير.

فقفزت لرأسي فكرة، أن أسجل بهاتفي المحمول ما يدور في الجلسة دون أن يشعر بي أحد، وبالفعل سارعت إلى فتح المسجل، وكأنني أنظر في هاتفي هل اتصل بي أحد أم لا، وكان قد بدأ الشيخ وقتها في الحديث عن البدوي، فتحدث عن مناقبه، ورد بحسب اعتقاده على ما يثيره أعداؤه حوله، ملقبًا إياهم بالمفترين عليه، وطالبًا في الوقت ذاته من هؤلاء الذين يقللون من فضله، بأن يتعلموا أولاً ويعوا سيرة هذا الرجل قبل أن يحكموا عليه.

ولم تخل بالطبع محاضرة الشيخ حول البدوي من سرد مجموعة من القصص والروايات حول خوارقه وكراماته، التي يذهلك أن ترى تصديقًا كاملاً على وجوه الناس لها، ومن ذلك قصة محاولة ابن دقيق العيد شيخ الإسلام في وقت البدوي أن يختبر البدوي، فأرسل له أحد تلامذته لاختباره وهو يخبئ كتابًا في ملابسه، فقال له البدوي: أخرج ما معك من كتاب واسأل ما شئت، فتعجب الرجل، ولما رد البدوي على أسئلته قال البدوي للرجل: اذهب لشيخك، وقل له إن لديك خطأين في مصحفك، أحدهما في سورة يس والآخر في سورة طه.

وما أن انتهى الشيخ من محاضرته، حتى وجدته بدأ في الإنشاد والتصفيق بصوت عالٍ، وهو ما شاركه فيه كل أفراد

المجموعة الجالسة، وبالطبع كان الجميع يحفظون ما يقوله الشيخ، ويرددون معه دون خطأ واحد إلا أنا، وشيئًا فشيئًا بدأ يتجمع حوله أناس كثيرون جاءوا من أنحاء المسجد.

وفي جانب من جوانب الحلقة تجمعت العشرات من النسوة والفتيات، اللائي أخذن ينشدن مع الشيخ ويزغردن ويصفقن، ثم قامت واحدة منهن بإخراج زجاجة "برفان حريمي" من حقيبتها، لتبدأ في الرش على رءوس الرجال بين الحين والآخر، لتختلط الرائحة الطيبة بالأناشيد والتصفيق، ثم ليأتي دور الأكل، الذي كان قد أعد سابقًا ليقوم أحد الرجال بالتوزيع على الجالسين؛ فيأكلون ويتسامرون.

داخل المقام

ما أن انتهيت من جلسة مجموعة سيدي صالح، بعد أن تناولت طعامهم مخافة أن ينكشف أمري في حال رفضي للطعام، قمت بالإسراع لاستطلاع ما يحدث في تلك الحجرة التي تضم ضريح البدوي، لتملأ عيني قبل الوصول لباب الحجرة تلك الزينات واللافتات الخضراء والحمراء، التي انتشرت حول الباب، وما إن اقتربت من باب الحجرة حتى وجدت رجلًا يمسك بقطعة من القماش المبلول، غير أن لونها اصطبغ باللون الأحمر؛ لأعرف منه أنه يمسح عتبه المقام بقماش مبلول بالشربات "عصير الفراولة"، وعلى جانبيه يجلس رجل وامرأة أمام كل منهما إناء مملوء بالماء وعدة أكواب، يسقون بها الداخلين والخارجين من المقام، ولا مانع من تلقي بعض الصدقات مقابل ذلك.

لا تصدق نفسك عندما ترى هذه العشرات الداخلة إلى الضريح، وهم يقومون برفع أيديهم ووضعها على رءوسهم بطريقة معينة كتحية للبدوي، وهو ما يذكرك بتلك التحية الهتلرية التي فرضها القائد الألماني على شعبه عند رؤيته، وهي التحية التي تعد أخف وطأة من أفعال أولئك الذين يقومون بالسجود على عتبة الضريح، ويُمرِّغون وجوههم.

وما أن تعبر قدماك عتبة المقام حتى تجد نفسك بين العشرات من الرجال والنساء والأطفال والفتيات، الذين يطوف أغلبهم حول الضريح وكأنه كعبة الله، في حين تجد البعض وهو يتمسح بالضريح، وآخرون وقد جلسوا القرفصاء، وأمسكوا بالسور الخشبي المحيط بالقبر، يقبلونه ويذرفون الدموع، وآخرون وقد سجدوا بجواره دون استقبال قبلة أو مراعاة للزحام.

وفي أحد جوانب الغرفة يلفت نظرك ذلك الزحام والتدافع على برواز زجاجي يقبله الناس، وما أن تقترب حتى ترى نحتًا في صخر لقدمين، يعتقد الناس أنه للرسول ﷺ، وذلك دون سند شرعي أو حتى من قبل المؤرخين.

وفي بقية أركان الغرفة يجلس العشرات دون فواصل بين رجال أو نساء؛ فتجد بعضهم يتسامرون، وآخرون يدعون بما يريدون، فتصل إلى مسامعك بعض الأدعية التي ربما تتوافق مع الشرع، وأكثرها مما يخالفه ويتجاوز الحد، من مثل: "انجدني يا بدوي"، و"اشفي لي مرضي يا شيخ العرب"، وغيرها.

لا تعدم أيضًا داخل المقام من وجود المجاذيب والدراويش، ومن يعانون من متاعب نفسية ربما وجدوا من المقام وما يحدث فيه فرصة جيدة للتنفيس عما بداخلهم؛ ففي لحظة تفاجأ برجل مهيب يرتدي أجمل الثياب وأغلاها، ويمسك بزجاجة عطر، يمر على الضريح فيرشها، وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، أو أن يدخل رجل استحسن صوته فيضع يديه على أذنيه وينشد بصوت عال، وهو يطوف حول القبر أو أن تجد امرأة متبرجة وترتدي ثيابًا غير شرعية تمسك بحقيبة ممتلئة بالحلوى فترميها فوق رءوس الزائرين، أو بشاب تحسبه من العاقلين فيصرخ بأعلى صوته فجأة: "يا حبيبي"، وهكذا.

ووسط الطوافين وجدت رجلًا في الأربعينات من عمره، تمسك بطرف ثيابه فتاة، لم تكمل عقدها الثاني، ويمسك الرجل بصورة "فوتوغرافية" لرجل مسن للغاية، يرتدي عمامة كبيرة على رأسه، يمر بها على الطوافين والجالسين، ويقول بصوت عال: سيدي سليمان أبو حراز؛ فلما استوقفته أسأله: هل يمكنني أخذ الصورة؟ لم يتردد، وأعطاني إياها ليخرج بأخرى من حقيبة بيده، ولما سألته: من هذا؟ قال إنه أحد أولياء شمال سيناء، ولما سألته: لماذا توزع صورته على الزائرين؟ قال: أنا لا أوزعها، ولكن فقط أمررها عليهم، فسألته: لماذا؟ فقال: أشعر بترحاب في مقام البدوي عندما أفعل ذلك، والحقيقة أنني لم أفهم ماذا يقصد.

رفقاء البدوي

والغريب في المسألة أن المولد مولد البدوي، ومع ذلك فإنك تجد الزائرين يتجهون لزيارة مقامات وأضرحة أخرى داخل المسجد، في غرفتين مجاورتين لغرفة قبر البدوي؛ الغرفة الأولى تضم قبر سيدي عبد العال الأنصاري الخليفة الأول للبدوي، وقبر آخر يضم جسدي سيدي نور الدين وسيدي عبد الرحمن نجلي سيدي عبد العال، وقبر ثالث يضم جسد سيدي أحمد محمد حجاب الذي توفي عام ١٩٧٨م؛ إذ كان إمامًا للمسجد البدوي، ويقال إنه بشر الرئيس المصري أنور السادات بالانتصار على اليهود، وطلب منه أن يتعهد له إذا ما انتصر أن يدفن في المسجد البدوي بجوار مقام السيد أحمد البدوي، وهو ما نفذه السادات، أما في الغرفة الثانية فيقع قبر سيدي مجاهد الخليفة الثاني للبدوي.

وكما تجد العشرات ينهالون على زيارة مقام البدوي، لا تعدم أيضًا من زائرين لهذه المقامات المجاورة، وإن كانت كثافة الزيارة بطبيعة الحال أقل، بل ربما تجد الكثيرين ممن دخلوا هذه المقامات بطريق الخطأ، مظنة أن تكون للبدوي.

وبجوار كل مقام من هذه المقامات تجد خادمًا للمقام، لا يتردد في أن يجيبك عن بعض الأسئلة الأولية حول صاحب المقام، لعل وعسى أن تكون إجاباته سببًا في أن تدخل يدك لجيبك وتخرج منها "ما فيه النصيب".

كشف العورات.

تستغرقك الساعات وأنت في المسجد البدوي لا تشعر بالوقت وكيف ذهب، فكل صورة من هذه الصور تشدك لتتأملها حتى يؤذن عليك أذان إحدى الصلوات، لتنتبه أنه يجب أن تذهب للوضوء لأدائها، وما إن تذهب إلى دورات المياه حتى تطالعك صورة أخرى من الصور السلبية التي تمتلئ بها هذه الموالد؛ فها هي دورات المياه تمتلئ بالرجال والنساء والشباب والفتيات، الذين يقومون بالوضوء بجوار بعضهم البعض، ولك أن تتخيل صورة امرأة أو شابة تتوضأ بجوارك، فترفع عن ثوبها لتغسل ساقها؛ فتظهر عورتها أمام الرجال، أو أن تشمر عن أكمامها فتبدو للعالمين يديها، في حين يجلس على مسافة صغيرة بعض النسوة اللائي يتناولن الطعام، وقد افترشن بلاط دورات المياه لتبدو الصورة وكأنها سداح مداح، لا رابط في المسألة، ولا علاقة لما يحدث بالذكر أو الذاكرين ... إنه المولد.

والمثير أن تجد الكثير من بين هؤلاء الذين تكلفوا مشقة السفر وعناءه لزيارة الأولياء والتبرك بهم، يسمعون الأذان ولا يتحركون لوضوء أو صلاة، فتقام الصلاة وهؤلاء عنها لاهون وكأن الصلاة ليست فرضًا، أو قل إن هذا الفرض قد سقط عنهم، فهم يؤدون ما هو أعلى منها ... إنهم في حضرة البدوي.

وفي داخل المسجد وأثناء الصلاة تجد من يلاعب الأطفال، وتجد من هو نائم، وتجد من يسامر صديقًا له، وتجد من يزال مشغولًا في الطعام، بل وتجد أناسًا آخرين في مواضع مخالفة لما هو عليه الإمام.

فرصة للتجارة

لعل نظرة تأمل فيما يجري بمولد البدوي وغيره من الموالد، يكشف عن أن الأمر لا يعدو عن كونه فرصة للرواج التجاري على مستويين: الأول منهما يخص هؤلاء الخدم والمتصوفة الذين يحصلون على نسبة لا بأس بها من النذور والصدقات، التي يخرجها الآلاف من البشر ومحبي أصحاب القبور والأضرحة، والذين يقدمونها مظنة أنها صدقة يجزى بها صاحبها، والتي وصلت إلى ما يزيد عن ٢ مليون جنيه.

أما المستوى الثاني فيخص التجار الذين يحيطون بالمسجد البدوي؛ فالمولد ـ كما يقول علي فهمي الخبير المصري بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في كتابه: "دين الحرافيش في مصر المحروسة" ـ سوق تجارية يعرض فيها المنتجون بضائعهم، ويسعى إليه المستهلكون للشراء، ومضيفًا في الوقت ذاته أن مواسم الموالد في الأقاليم المصرية ترتبط بمواسم تصريف محاصيل زراعية بعينها، وتقترن مواعيدها بمواعيد الانتهاء من جني المحصول، الذي

يشتهر به الإقليم الذي يقام فيه المولد.

يقول طارق فلاح ـ صاحب محل حلويات وحمص في ميدان السيد البدوي ـ إن المولد موسم سنوي لنا جميعًا، وعلى الرغم من أن الأسعار لا تختلف كثيرًا عن بقية المحافظات، إلا أن الناس تشتري من طنطا، لما يتميز به الحمص هنا.

وهو ما يؤكده شريف السيد سليمان صاحب فرش للاكسسوارات ولعب الأطفال، الذي يقول إن أيام المولد بالنسبة لنا أيام للرواج التجاري، نبيع فيها ما يساوي حجم مبيعاتنا في العام كله، أما ما قبل المولد وبعده فيكون السوق نائمًا.

ويضيف سليمان أنه لا يدخل الضريح ولا يزور مقام البدوي، فهو لا يعتقد في هذه الأشياء، وأن وجوده ليس إلا للتجارة، متعجبًا من هؤلاء الناس الذين يضعون هذه الأموال في صناديق النذور، وهم يعتقدون أنها ستصل للبدوي.

حكايات الزائرين

وفي محاولة منا للتعرف على بعض الزائرين وأسباب زيارتهم لمولد السيد البدوي، التقينا بعدة نماذج من هؤلاء، فوجدنا عجبًا عجابًا، من أناس مخدوعين موهومين، تكبدوا كل تلك المشقة ليفعلوا تلك الأفعال التي تعج بالشركيات عياذًا بالله، وكان منهم:

طارق محمد حسن "سباك " من جزيرة الوراق بشبرا بالقاهرة، والذي قال أنه لم يكن يقصد المجئ لمولد البدوي، غير أنه كان في منطقة قريبة من طنطا لشراء بعض الاحتياجات ولم يجدها، فخطر بباله أن يذهب للبدوي، مؤكدًا أنه لا يعتقد بأن زيارة الأضرحة تقرب لله تعالى، وإنما هي مجرد عادة أخذها عن أبيه وجده؛ فالهدف من الزيارة "الاستباركة" التي تعني عند طارق أخذ البركة.

أما السيد الفولي ياسين محمد، والذي جاء خصيصًا من مدينة مطاي بمحافظة المنيا ـ صعيد مصر ـ فيقول إنه حريص منذ عشر سنوات على زيارة مولد السيد البدوي، فهو رجل كرامات وصاحب بطولات، في حين ينتابه الحزن الشديد في حال تخلفه عن الزيارة في أحد الأعوام.

وأضاف الفولي أنه بمجرد دخوله لمقام السيد البدوي، يشعر براحة نفسية لا مثيل لها؛ حيث يقوم بقراءة الفاتحة والدعاء لله ﷻ بأن يشفيه من الأمراض ويدخله الجنة، بحق صاحب هذا المقام.

أما أحمد زكريا الحاصل على ليسانس لغات وترجمة "قسم عبري" من جامعة الأزهر، فيقول إننا نحب البدوي لحبنا لرسول الله ﷺ، فهو من نسله، ولو كان نبيًّا بعد الرسول لكان السيد البدوي ـ بحسب قوله ـ فهو رجل تقي وولي: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وعن سبب زيارته لمسجد البدوي، قال زكريا إنه يعمل في مدينة طنطا طوال الليل في أحد أفران الخبز، وبالتالي فهو يقضي النهار كله في المسجد ولا يذهب للمنزل.

ويضيف زكريا أنه لم يكن معتقدًا في هذه الزيارات في السابق، غير أنه لما زار البدوي تغير حاله وسلوكه إلى الأفضل، وهو ما جعله حريصًا على الزيارة باستمرار، ويستنكر زكريا قيام العديد من الأشخاص بالتكسب من وراء زيارة أضرحة الأولياء.

أما السيدة اعتماد محمد هلال «كرداسة ـ الجيزة»، والتي تبلغ من العمر سبعين عامًا، فقالت إنها لم تزر البدوي قبل ذلك، وأن هذه أول زيارة لها، وأن من دلتها على زيارة البدوي هي أختها الصغيرة؛ إذ أن البدوي ولي من أولياء الله ولا تعرف عنه غير ذلك.

محمد عبد العزيز الهواري

مولد مولاي بوعزة ... التصوف والجاهلية الأولى

على الرغم من مرور ما يزيد على ٨٠٠ عام على وفاة مولاي بوعزة، الذي يعتقد أنه أحد أولياء التصوف في المغرب العربي، فإن الموسم السنوي لمولده ما زال يشهد العديد من الطقوس والسلوكيات، التي تكرِّس الجاهلية الأولى.

ففي نهاية شهر مارس وبداية شهر إبريل من كل عام، يتوجه الآلاف من المغاربة إلى قرية بوعزة لزيارة ضريحه، لتصدر منهم أفعال غير لائقة ومخالفة لصحيح الإسلام، ومن ذلك قيام البعض بالرقص بطريقة جنونية على إيقاع موسيقى السواكن، وشرب الماء في درجة الغليان، مع طرد كل من يرتدي لباسًا أحمر، وهو ما يسمونه بالجدبة.

كما يقوم بعضهم ممن يطلق عليهم الشرفاء بعد الوصول إلى درجة اللاوعي في الجدبة، بافتراس تيوس حية بطريقة حيوانية يتقزز الحاضر من رؤيتها، ليباع لحمها بعد ذلك أجزاءً صغيرة للمشعوذين والسحرة بأثمنة خيالية.

كذلك يتضرع أغلب الزائرين للقبر بطلبات تتفاوت بين المال والسعادة والزواج والعمل ... إلخ، سرًّا وعلانية، ومنهم من يُقبِّل السياجات الحديدية، ومن يضرب رأسه بها قصد "التبرك".

ومن بين هذه المخالفات أيضًا اعتقادهم بأنه يوجد ما يطلقون عليه صخرة "حجرة" مولاي بوعزة، وهي عبارة عن صخرة تحتها نفق محدب، يدَّعي المنظمون أنها مباركة، تحاصر ذوي النيات أو الأعمال السيئة، وتسمح بمرور أهل الأعمال الحسنة، والمتأمل لها يجدها صخرة عادية تحاصر فقط البدناء لأن النفق ضيق نسبيًّا، أو المضطرب نفسيًّا لأنه يتوهم محاصرتها له فيبقى عالقًا.

فيما يسمون تلك الصخرة المستطيلة، والتي تميل بنسبة ١٥ ٪ إلى ٢٠ ٪ "الحصيرة"، والتي يروجون أنها وسيلة لكشف المستقبل؛ حيث يتمدد الزائرون في أعلى الصخرة ويدفعون بأنفسهم في اتجاه المنحدر، إلا أن اتجاهاتهم تختلف حسب التشوهات التي تعتري "الحصير"، والبنية الجسمية لكل واحد منهم، وحيثما توقفوا تحدد الحاجة، سواء أكانت مرتبطة "بالمستقبل أو العمل أو الشفاء ...".

ويضاف إلى هذه الطقوس الرسمية طقس الكي بالنار، وتقبيل الحجر والتراب، بل وأخذ "باروك" منه إلى البيوت، إلا أن الذي يحز في النفس، هو وجود أناس على قدر عال من الثقافة، يمارسون هذه الخزعبلات ويشجعون عليها.

ومولاي بوعزة هو يلنور بن عبد الرحمن بن بكر الإيلاني - حسب العزفي - عرف بأبي يعزى؛ لأنه كان ينادي ابنه الأكبر "آبا إعزا" أي أبي العزيز لتدليله، وحُرِّف الاسم تدريجيًّا ليصير مولاي بوعزة، وهو من أولياء المرحلة الأولى للتصوف بالمغرب "التصوف الشرقي"، خلال العهد الموحدي في القرن ١٢م / ٦ هـ.

ويعتقد المتصوفة أن بوعزة تميز بكراماته الخارقة، وتوافدت عليه الجموع من كل مكان، يقول ابن صعد في النجم الثاقب ص(٥٤١): (تواترت إليه كثرة الجموع، وقيل له هذه الجموع يخشى على الدولة منها، حتى أن السلطان عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي تأكد بنفسه من كراماته، في قصة يوردها الصومعي في المعزى في مناقب أبي يعزى).

جريدة هاسبر بير الإلكترونية ٩/ ١١/ ٢٠٠٨م

بوتفليقة يخطب ود المتصوفة الحصول على ولاية ثالثة

دعا الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في خطابه بالملتقى الدولي "للطريقة التيجانية" بمدينة الوادي، إلى إدخال معاني التصوف في العولمة، التي اعتبر أنها عجزت عن تحقيق الأحلام والآمال التي كان ينشدها دعاتها الأوائل؛ من توزيع عادل لثروات الأرض، واقتصاد متوازن، وتسهيل مرور بني البشر عبر بلدان المعمورة دون خوف أو تضييق على الحريات، على الرغم من أنها نجحت في أن تجعل من العالم قرية صغيرة.

ورأى مراقبون أن خطاب بوتفليقة يسعى إلى تحقيق غايات سياسية، خاصة أنه يأتي في خضم جدل قوي دائر بشأن التعديل الدستوري الجزئي الذي اقترحه الرئيس بوتفليقة، ويتيح له الترشح لولاية رئاسية ثالثة؛ حيث أراد من خلاله إظهار الاهتمام بشأن ديني، ما تزال له مكانته في أنفس الكثير من الجزائريين، ويتعلق بالتصوف ممثلًا أساسًا "بالطريقة التيجانية"، التي تعد الجزائر مهدها الأول ومعقلها الباقي، و"الطريقة التيجانية" مقرَّها صحراء الجزائر، ولها امتدادات وأتباع كثر في دول عربية وبخاصة الإفريقية وشيخها هو محمد العيد التيجاني.

واعتبر المراقبون أن طرح بوتفليقة لا يخلو من جِدة، حين اختار الابتعاد تمامًا عن الشأن الداخلي الجزائري، ليُجري ربطًا بين موضوعين متباعدين هما التصوف والعولمة؛ حيث رأى أن على الأخيرة أن "تتشرب روح التصوف، وأسسه المفعمة بالإحسان والمحبة والقناعة، والدعوة إلى الحوار بين الحضارات والثقافات، لا إلى صدامها، حيث يتساوى بنو البشر أمام خالقهم في الحقوق والواجبات، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح".

ويتناول الملتقى الذي يعقد كل عامين محاور تتعلق براهن ومستقبل الطريقة الصوفية التيجانية، و"الحراك التيجاني والعولمة"، و"مساهمة رجال الطريقة التيجانية في حرب التحرير الجزائرية"، و"التربية الروحية في الطريقة التيجانية"، و"الكشف عن الأيدلوجية التيجانية في عصر التحولات السريعة"، والإجابة عن تساؤلات تتعلق بمدى "قدرة الخطاب الصوفي التيجاني على الصمود في خضم التحولات الهائلة التي يشهدها العالم المعاصر، وبحث آليات هذا الصمود".

يذكر أن اهتمام الدولة الجزائرية بدعم الطريقة التيجانية، وخصوصًا عبر وسائل إعلامها الرسمية، يلقى نقدًا من قوى جزائرية ذات توجهات فكرية وسياسية يسارية أساسًا.

العرب أون لاين ٥/ ١١/ ٢٠٠٨

السلطات المغربية تدعم التصوف لتثبيت أقدامها

تزايد في الآونة الأخيرة الحديث عن دور التصوف والزوايا وعلاقتهما بالسلطة في المغرب، بعد أن أبدت الدولة الكثير من مظاهر الاهتمام بالطرق الصوفية.

ويفسر البعض دعم السلطة للطرق الصوفية، بأنه محاولة لاستعمالها لإعادة ارتباط المغاربة بما يعرف باسم «الإسلام الشعبي»، لمواجهة الأفكار الإسلامية التي ترفض الكثير من السلوكيات الصوفية المخالفة لصحيح الكتاب والسنة، والتي زاد من تأثيرها انتشار وسائل الإعلام، خاصة الفضائيات والأقراص المدمجة.

فيما يرى فريق آخر أن اهتمام الدولة بالتصوف، يأتي في إطار من الاستمرارية والتجديد لصيانة تراث ديني ثقافي، خاص بالشعب المغاربي.

فيما يرى فريق آخر أن اهتمام الدولة بالتصوف، يأتي في إطار من الاستمرارية والتجديد لصيانة تراث ديني ثقافي، خاص بالشعب المغاربي.

وكان العاهل المغربي محمد السادس قال في سبتمبر الماضي خلال الدورة الوطنية الأولى للقاء سيدي شيكر للمنتسبين للتصوف: "إنكم في لقائكم هذا كطائفة واحدة، مشربكم واحد، وقصدكم واحد خدمة الدين والوطن؛ أما خدمة الدين فمنهجكم القويم فيها يتمثل أساسًا في الاعتصام بالكتاب والسنة، وإشاعة العلم وتهذيب النفس بالإكثار من الذكر، وأما خدمة الوطن فتتمثل أساسًا في القيام بالواجب نحو الإمامة العظمى التي تمثلها إمارة المؤمنين، والحرص على خصوصيات المغرب الثقافية؛ حتى لا تضمحل تحت تأثير كل المشوشات الدخيلة".

من جانبه، أشار منار السليمي أستاذ العلوم السياسية بجامعة محمد الخامس بالرباط، إلى أن "طبيعة نظام الحكم في المغرب الوراثي كان لابد لها أن تتعامل مع الزوايا في إطار الإسلام الشعبي، بحيث كانت تلعب الزوايا دور التأطير، وإدماج الفئات الضعيفة وفئات المعدمين في المجتمع".

وكالة رويترز ٨/ ١١/ ٢٠٠٨

هجوم صوفي ضد القرضاوي، ومطالبته بالتنازل عن رئاسة اتحاد علماء المسلمين

استمرارا للحملة الشعواء ضد الدكتور يوسف القرضاوي، بعد تحذيراته من المد الشيعي في المنطقة، والذي ترعاه الحكومة الإيرانية، شن عدد من أعضاء المجلس الأعلي للطرق الصوفية هجومًا حادًا وغير مسبوق ضد الدكتور القرضاوي، متهمين إياه بتعمد إثارة الفتنة بين السنة والشيعة، وخيَّروه بين التراجع عن تلك التصريحات أو التنازل عن رئاسة اتحاد علماء المسلمين.

وزعم محمد ماضي أبو العزائم عضو اللجنة الأعلي للطرق الصوفية وشيخ الطريقة العزمية، أن هناك دولاً تسعي من خلال العلماء إلى بث خلافات داخل جسد الأمة التي أصابها الضعف والتفرقة، وإعاقة أي محاولات للتغريب.

وأضاف أن الشيخ القرضاوي تحدث عن المد الشيعي، وتغافل عن المد الصهيوني و"البهرة" و"القاديانية"، الذين يزداد خطرهم يومًا بعد يوم، مشيرًا إلى أن هناك عملاء دينيين يسعون إلى "بهدلة" الأمة، ونسيان واجبهم المقدس في "لم الشمل".

وأوضح أبو العزائم أن موقف الصوفية جاء بعد تصريحات القرضاوي، وإحساسهم بالخطر الذي يتهدد وحدة المسلمين، مضيفًا أن الرد ليس علي شخص القرضاوي وإنما علي أفعاله.

وقال الدكتور أحمد شوقي الأمين العام للجنة الشعبية العالمية بليبيا: "إن الغرب يخاف القنبلة الإسلامية المتمثلة في إيران، ويسعي إلى إحداث الفرقة من خلال عملاء؛ فهي في النهاية لعبة سياسية".

فيما طالب اللواء أحمد عبده الخبير الاستراتيجي الشيخ القرضاوي بالتنازل عن رئاسته الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أو الاعتذار للشيعة والصوفية عن تصريحاته، مضيفًا أن القرضاوي عالم جليل لا يمكن لشخص اتهامه بالعمالة، لكنه انحرف عن المنهج والطريق الصحيح في الدعوة لكبر سنه وفقدانه تركيزه، لذا؛ يجب علينا أن نعيده إلى رشده.

من جانبه، قال الدكتور أحمد السايح أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر، إن القرضاوي يضيع جهودًا بذلها شيوخ الأزهر وعلماء الدين والصوفية ودار التقريب طوال القرن الماضي "هباء"، وتسبب في صدع بجسد الأمة لمصلحة أعدائها، الذين يتربصون بها منذ نشأتها.

وكان العشرات من المشايخ وأساتذة الجامعة والعلماء المعتبرين، قد وقعوا بيانًا يستنكر الهجوم الشديد الذي تعرض له الشيخ يوسف القرضاوي، ووصفه « بالماسونية» و«الصهيونية»، واتهموا إيران بالوقوف وراء حملة الهجوم.

شبكة محيط ٢/ ١١/ ٢٠٠٨

الأحباش يخططون لتحويل قبر شيخهم إلى مزار ولي

في محاولة منهم لجعل ضريحه مزارًا لولي، قام أتباع ومريدو عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، بدفنه بجوار أحد مساجد جمعية المشاريع الإسلامية في لبنان؛ حتى يتسنى لهم إقامة الاحتفالات وتنظيم الزيارات دون الالتزام بأوقات محددة، وهو ما جعلهم يرفضون دفنه في إحدى المقابر العامة.

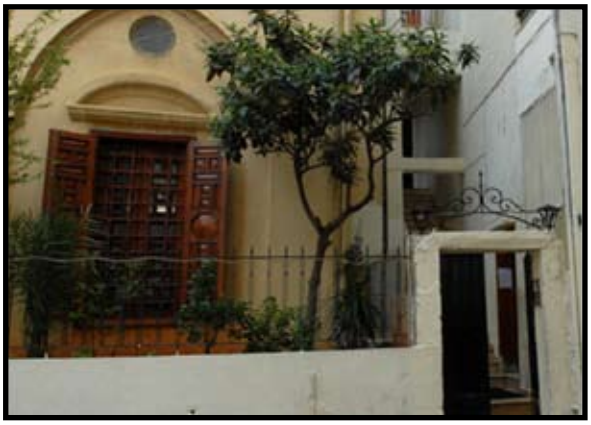

وقد وجدت جماعة الأحباش في وفاة شيخها وإمامها وملهمها مناسبة لا تفوت، لتجعل من قبره ملاذًا ومزارًا قابلًا لأن يصير صاحبه مع الزمن والتأريخ من الأولياء الصالحين؛ حيث تبدو الأحياء السكنية القريبة والمحيطة بالمسجد، والمجلس في منطقة أبي حيدر أشبه بوقف لرعاية هذه الجماعة، لتعلي من حضورها وسلطانها في المكان الأهلي العام، وهما سلطان وحضور يسعفهما قبر في شقة سكنية في الطبقة الأرضية، من بناية يملكها رئيس المجلس الأعلى للكرد، الذي قال إنه أفرغ أثاث بيته عند الفجر حين علم أن الشيخ الحبشي لفظ أنفاسه الأخيرة، ووافته المنية في مطالع شهر رمضان الماضي.

وسعى الأحباش إلى إضفاء الطابع الصوفي على ضريح شيخهم؛ حيث فرشت الغرفة التي بها القبر باللون الأخضر، فيما كسي قبره ببساط أشد اخضرارًا من موكيت الأرض، من دون أن ترفع عليه شاهدة ربما لا يحتاج إليها الفقيد، الذي يجعله مدفنه الخاص خلف الجامع، الذي وضع مريدوه أيديهم عليه منذ سنوات كثيرة ـ أشهر من أن يُعرَف، فيما تركت على طرف القبر سبحة الشيخ عبد الله "المباركة".

عند رأس الضريح وجانبيه يجلس القرفصاء بعض من مريدي الشيخ، ومن جهة الأقدام تقعد النسوة مع صغارهن؛ حيث يكن مطأطئي الرءوس، وعيونهن جميعًا شاخصة إلى القبر.

ويتوافد على زيارة قبر الحبشي أناس من جميع أنحاء العالم؛ إذ يأتيه زوار من كندا وأستراليا وأوروبا، ومن الدول العربية، ومن أفغانستان وماليزيا، ومن الإمارات، وكذلك من دول الخليج.

ويعتقد مريدو الحبشي أن شيخهم يخرج من ضريحه ليلًا "للغوث"؛ فقد أسرَّ بعض "الأحباش" إلى بعضهم أن أحدهم سمع ليلًا طرقًا قويًّا على باب بيته اهتزت البناية منه، فنهض مستنفرًا مستفزًّا متناولًا ساطوره، فإذا بالشيخ عبد الله الحبشي تنبعث منه كتلة نور أبيض وأخضر وأصفر، مهرولًا داخل البيت إلى غرفة النوم، لينزع اللحاف عن وجه طفلة حديثة الولادة، وقد بدت عليها عوارض الاختناق.

أما عن سيرة الحبشي، فيروي أحد أتباعه أنه الشيخ عبد الله الحبشي الهرري الشافعي الرفاعي (الرفاعية طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي توفي سنة ٥٧٨هـ، وتعرف بدعوة مريدها إلى كتمان السر والصبر على البلاء والاستسلام له)، ولد في إقليم هرر غربي الصومال سنة ١٩١٠، وأسندت إليه الفتوى ببلدة هرر وجوارها، وأنه «فر من الحبشة وعمره ١٨ سنة هربًا من هيلاسي، الذي كان يقتل العلماء المسلمين ـ حسب قوله ـ وأنه تجول في بلاد الشام، واستلم إمامة ومشيخة المسجد الحرام أيام السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله (للتذكير عزل عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩م)، وأن الشيخ عبد الله عندما كان يدخل غابة معروفة ببلاد هرر للتعبد، كان «يدخل خلفه سبعان ليحرساه».

لبنان الآن ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٨

لماذا يقدس المغاربة قبور الأولياء والأضرحة؟

مازال أصحاب الأضرحة أو «الأولياء» كما يُنعتون في المغرب، يحظون بمركز خاص في حياة العديد من المغاربة؛ إذ أن هناك العديد من أضرحة، وقبور هؤلاء الأولياء تشهد زيارة الحشود من الناس، شبابًا وكهولًا.

لئن كان الإسلام يضع قيودًا صارمة على زيارة الأضرحة، ويُحرِّم طلب الدعاء من الأولياء الصالحين؛ فإن العادة الموروثة عن الأجداد ما زالت تُحكِم قبضتها، على العديد الذين يطلبون الرجاء والشفاء من أصحاب الأضرحة.

والأضرحة عادة ما تكون مخفية في أبنية تعبدية صغيرة، وفي داخلها حُجاج رجالًا ونساء يحيطون بالقبر، فيما يتمسك ويتمسح آخرون بستار الولي الصالح، ويقفون تحته مشدودي الحركة، وكأنهم يفصحون عن ذنوبهم.

هناك العديد من الأضرحة في المغرب، ولكن مشاهيرها تستقطب جمهورًا غفيرًا من الزائرين، من بين هؤلاء سيدي بليوط الواقع في قلب العاصمة الاقتصادية للمملكة، مدخل قبة الضريح مزركشة بإبداعات فن المعمار الإسلامي، بل إن الأمر استدعى إحداث ثقب في سقف الضريح لتمكين نخلة من معانقة السماء بعلوها الباسق.

و تروي المرأة التي تحرس الضريح وتسترزق من بيع الشمع في مدخله، أن "هؤلاء الناس يأتون للصلح مع الله، لكل واحد منهم هواجسه، يصلون لله؛ فيستجيب لدعواتهم"، كذلك فإن غالبية الزوار المحتشدين في ضريح سيدي بليوط من البنات، اللواتي ينتظرن الكشف عن متاعبهن للولي الصالح.

تقول خديجة ب. ٣٦ سنة، وتقطن في حي مديونة بالدار البيضاء: "أعتقد أن هؤلاء الأولياء يجلبون حقًّا الحظ، لما كنت صغيرة كانت أمي تأخذني لكل أضرحة الدار البيضاء للتدبر، وفي كل أسبوع آتي إلى سيدي بليوط؛ حيث ألتقي العديد من النساء، لو ابتعدت لمدة أطول يأتي الولي الصالح في منامي ويأمرني بزيارته".

أما إلهام بوغابة وهي طالبة بكلية الحقوق، فتقول: "بعد زيارتي الأسبوعية أشعر بالاطمئنان الداخلي، الذي يساعدني على تدبير شئون حياتي بشكل عادي، ومع مرور الزمن أصبحت الزيارة جزءًا أساسيًّا من نمط حياتي".

أيضًا يأتي المساكين بجموع محتشدة كل يوم جمعة لتناول الكسكسي الذي يتبرع به المحسنون، وكذا لحضور المهرجانات السنوية لبعض الأضرحة، مثل المواسم التي مازالت تستقطب آلاف الناس، وبالإضافة إلى الصلاة والدعاء وطلب البركة، يُقدِّم الموسم أيضًا فرصة للتعرف على أصدقاء جدد، والعوائل التي تقطن بعيدًا، البعض يستغل المناسبة للبحث عن زوج أو زوجة لولده أو ابنته.

الذين يأتون للتفكر والتدبر قرب ضريح الأولياء يحملون الألف طلب وطلب، ويتضرعون للولي طلبًا للحظ في الحياة.

تقول الحاجة طامو التي بلغت عقد الستين، ودأبت على زيارة الأولياء منذ نعومة أظافرها: "أذهب للولي الصالح لكي يتوسط لي لطلب مغفرة الله تعالى، أنا أعرف أنه مجرد إنسان مثلنا لكنه شريف».

طلب طامو «الاستشارة» من الولي يتغير حسبما تسعى له من زيارة لأخرى، قالت وقد امتلأت عيناها بالأمل: «أدعوه أن لا يتزوج زوجي من جديد، وأن يحصل ابني على عمل طيب، وأن تجد ابنتي البالغة ٣٥ عامًا زوجًا صالحًا»، وفي المغرب يُعتقد أن لكل ضريح أثر في مجال من مجالات الحياة ينفرد به عن البقية، مثلما أخبرتنا طامو.

من جانبه، أوضح عالم الاجتماع جميل معروك، أنه في العديد من الحالات يلعب الضريح دور طبيب الأمراض النفسية والأمراض العقلية؛ فالبعض من الناس أمام غلاء العلاج النفسي، يلجأون بمعية أحبائهم الذين يعانون من الأمراض العقلية إلى الأولياء.

وقال الدكتور خميس مصطفى في كتابه المعنون «طقوس وأسرار أضرحة الدار البيضاء»: «إن عادة زيارة الأضرحة سوف تتواصل لسنوات مقبلة؛ لأن هذا في واقع الأمر نتاج ما انغرس في نفوس الناس منذ صباهم؛ فضريح الولي يبقى مكان السلم الآمن لتلك النفس المعذبة، والتي لم تعثر عليه بعد».

هسبرس ١/ ١١/ ٢٠٠٨

صدر عن موقع الصوفية

(سياحة في التصوف الحضرمي)

اكرم مبارك عصبان

للاعائشة البحرية.. ساحة الشعوذة والنصب

على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات من مدينة آزمور المغربية، وعلى ضفاف نهر أم الربيع، يقع ضريح «للاعائشة» الملقبة «بالبحرية»، والتي تواترت بشأنها العديد من الروايات؛ حتى تحول البعض منها إلى أسطورة تحكيها الجدات للأحفاد لما تحمله من خوارق.

وكالكثير من أضرحة المتصوفة، توجد على جدران وأسوار وأشجار ضريح للاعائشة رموز وطلاسيم، وأسواره بلون الحناء القاتم، التي طلتها كل راغبة في الزواج أو فك سحر معمول لها؛ حيث تبدأ العملية بطلب التسليم لأصحاب المكان، ثم تقبيل واجهة الضريح يمنة ويسرة، مقدِّمًا القرابين شمعًا كانت أم نقودًا لتقتني بعدها شيئًا من البخور ومجمرًا صغير الحجم، فتدخل للاستحمام بماء البئر المجاورة للضريح، الذي يتم شراء السطل منه بعشرة دراهم، لكل شيء هنا ثمن ساخنًا أو باردًا، وفي زاوية تتم عملية التبخر من تحت تلابيب الملابس؛ حتى تشعر بدفء جهازك التناسلي وحرارته، بعدها يتم كسر المجمر.

ولا يقتصر الأمر على العازبات الراغبات في الزواج من الإناث، بل الذكور أيضًا وكل من هو عرضة "للعكس".

ومن العادات التي كانت قديمًا تمارس في هذا الفضاء، هو زيارة الضريح في اليوم السابع من الأعياد الدينية؛ حيث تنصب الخيام وتقام الولائم بقصد النزاهة، فتتبادل الأحاجي والاستمتاع بجمال الطبيعة، وكلمات الملحون الذي كان رجالات آزمور سادة فيه؛ ليتحول اليوم إلى فضاء غارق في الشعوذة والدجل، وكل سبل النصب والاحتيال على ضعيفي النية والمغلوبين على أمرهم، خصوصًا من قبل من ينصبون أنفسهم أبناء الولية وحفدتها، علمًا أن الولية ماتت عازبة، مستغلين جهل الزائرين وتعطشهم للمستحيل الذي يبقى لله أمره فيه.

وغير بعيد من هذا الفضاء تلوح لك خيام، قد انتصب أعلاها أعلام ذات لون أخضر، وقد جمعت بداخلها أفواجًا من النساء والفتيات وفي بعضها شبان، خيام نصبت على مرأى وتشجيع من السلطات المحلية وقوات الدرك الملكي، لأشخاص ذاقوا حلاوة ما يقومون به من شعوذة ودجل، منهم من ذاعت شهرته وانتشرت سمعته خارج الإقليم،

وتهافت عليه أصحاب الحاجات من الجهلة والسذج، وراح يعزف على أوتار آمالهم مستغلًّا آلامهم، واستولى على أموالهم بعد خداعهم ببعض الطقوس والترانيم والأحجبة التي يسلمها لهم، وسط جو من الشعوذة ودخان البخور الذي يملأ خيمته الصغيرة.

المشعوذون هنا درجات ومراتب، ولكل طريقته في الاشتغال؛ فهناك المزاول بالأوراق "لكارطا" وثمنه بين ٥٠ و١٠٠ درهمًا، وهناك صاحب "اللذون" وقد يصل إلى ٢٠٠ درهمًا، فيما هناك طرق اشتغال أخرى بالتعاويذ والبخور وغيرها، قد تصل ما فوق ٥٠٠ درهمًا.

ويروي مريدو الولية «للاعائشة» أنها ذات أصل بغدادي، وقد تعلقت بالولي مولاي بوشعيب أيوب السارية؛ لكثرة ما سمعت عن ورعه وزهده وعمله، فشدها الحنين إلى ملاقاته؛ فكانت وسيلة تعارفهما عن طريق اللعب بالكرة معًا كنوع من المراسلة، فكانت تمر الكرة مختفية في الأجواء عابرة الأرض من آزمور إلى بغداد ومن بغداد إلى آزمور، إلى أن قررت شد الرحال إليه بآزمور.

وبينما كانت على مشارف هذه المدينة التي حلمت بها لعقود اشتد عليها المرض، ووافتها المنية قبل رؤيته فدفنت بالمكان الذي ماتت به، والذي تحول إلى مزار ثم ضريح بعد ذلك، ومن الحكايات أن وصولها كان متأخرًا بعد أن حرمت من رؤية الولي الصالح؛ لأنه توفي وهي في طريقها إليه، فآلمها فراقه؛ فاعتكفت بالمكان الذي تحول إلى ضريح، إلى أن فارقت الحياة هي الأخرى.

وتضيف حكايات أخرى أن الولي الصالح مولاي بوشعيب قد تعرف إليها ببغداد عندما كان في طلب العلم، فتمت بينهما علاقة روحية كانت ستتوج بعقد قرانهما، لكن لظروف مانعة لم يتحقق لهما ذلك؛ مما جعلها تشد إليه الرحال حال عودته إلى آزمور، لكن المنية وافتها في الطريق.

بيان اليوم ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٨

صدر عن موقع الصوفية

(أئمة الهدى من الصوفية)

د.عبد الله بن صالح البراك

الطرق الصوفية وموقف الشارع المصري منها

في ظل تصاعد الاهتمام مؤخرًا بالمسألة الصوفية في مصر، صدرت دراسة جديدة للباحث أبو الفضل الإسناوي، والتي تهدف إلى تقديم صورة عامة لنشأة وتطور الطرق الصوفية، والهيكل التنظيمي لها والملامح الأساسية للطرق الصوفية المصرية وموقف الشارع المصري منها، مع عرض لنتائج الدراسة الميدانية المتعلقة بها.

وتكتسب هذه الدراسة أهمية غير عادية، ليس فقط لأنها تحاول إعادة البحث في موضوع تقليدي لاستكشاف التغيرات التي يمكن أن تكون قد لحقت به، لكن لأنها تحاول القيام بذلك بطريقة غير تقليدية، تضع المسألة الصوفية في سياقها العام في مصر.

وقد حاول الباحث أن يُقدِّم خلال دراسته صورة عامة للخريطة الصوفية في مصر، بكل تعقيداتها ورموزها، والأجواء العامة المحيطة بها، والألفاظ المستخدمة في قاموسها، والروحانية البسيطة المرتبطة بها، والجدية الشديدة التي يجب التعامل بها معها في نفس الوقت.

ويتوقع أن تثير هذه الدراسة في الأذهان أسئلة جديدة، خاصة وأن بعض النتائج التي تشير إليها الدراسة وحتى بعض المعلومات المشار إليها عرضًا فيها تمثل مفاجآت حقيقية.

لكن يظل أهم ما تطرحه الدراسة هو ذلك الجانب الذي يبدو أنها سعت إليه منذ البداية، والمتعلق بتصاعد التسييس فيما يتعلق بالطرق الصوفية في مصر، خاصة في مجال الانتخابات البرلمانية؛ فقد بدأ بعض قادة الجماعات الصوفية في ممارسة دور سياسي، ليس بسبب دوافع سياسية معتادة، ولكن في إطار "الخدمة العامة".

إسلام أون لاين ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٨

صوفي سوري يرفع الأذان بمصاحبة موسيقى البيانو

في حادثة هي الأولى من نوعها، قام شاب صوفي سوري يدعى عبد الرحمن عبد المولى، برفع الأذان بمصاحبة آلة البيانو الموسيقية.
فبعد أن كانت مرافقة الطقس الإنشادي تقتصر على آلات الإيقاع وبعض آلات النفخ الشرقي، قدَّم الشاب عبد المولى مع الموسيقي السوري معن خليفة حفلة إنشادية بمصاحبة آلات شرقية وغربية، تخللها رفع الأذان.

وحول تجربته في رفع الأذان بمصاحبة البيانو قال عبد المولى: «في الأماكن المقدسة يفضل أن يرفع الأذان وحيدًا، لكني أنشدته مع الموسيقى في حفل ديني»، مضيفًا أن «وجود آلة البيانو زاد الأذان روحانية، بحسب زعمه».

وادعى عبد المولى أن التجربة كانت فريدة من نوعها وجميلة؛ فالكلام المنتقى من أجمل الكلام التصوفي، والألحان فيها بصمة حديثة، على حد قوله.

ولا يخفي المنشد الشاب وعيه الكامل "للخلاف الكبير بين المشايخ والعلماء المسلمين، إن كانت الموسيقى تجوز أم لا؟"، وهذا الخلاف برأيه "جعل غالبية المنشدين يتوقفون عن الإنشاد بمرافقة الآلات الموسيقية"، لكنه، وإن كان يقدم نفسه "كشيخ مقرئ ومنشد وليس شيخ فتوى"، فإنه يقول "بعد تجربتي، أنا مقتنع جدًّا بالإنشاد مع الآلات الموسيقية؛ لأن الهدف هو إيصال المستمع إلى روحانية عالية، والكلام الذي ننشده له تأثير أكبر مع الموسيقى".

ويستند برأيه إلى أن "المطربين الكبار مثل أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب، استفادوا من إنشاد الشيخ محمد أبي العلا، الذي كان شيخ جامع ومقرئ، وعندما نسمع إنشاده على اسطوانة سنجد آلات موسيقية ترافقه".

شبكة محيط ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨

مناقشة الصوفية في مؤتمر «الحب والكراهية» بجامعة فيلادلفيا

انتهت قبل أيام أعمال مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر، والذي عقد هذا العام تحت عنوان «الحب والكراهية»؛ حيث قدمت خلال أعماله أوراق عمل حول مفاهيم هذه الثقافة، وتأثيراتها على الأفراد والمجتمعات والدول.

وفي إحدى جلسات المؤتمر التي كانت تحت عنوان «الحب الصوفي»، قدم الدكتور عبد الله موسى من المركز الجامعي في الجزائر، ورقة حول مفهوم الحب والكراهية في النص الفلسفي والنص الصوفي، قال فيها: «إن المحبة الصادقة لا تخشى التنازل عن كرامتها، والهبوط إلى مستوى الأشرار، والاختلاط بجماعة المذنبين؛ بل هي تنزل إليهم وتتعاطف معهم وتغمرهم بعطفها».

وقال إن المحب الحقيقي ليس من واجبه أن يبغض الشر أو أن يكره الكراهية، بل أن يعمل على استئصال الشر وتحطيم الكراهية.

وفي ورقة للدكتور فاتح عساف من جامعة فيلادلفيا حول المتصوفة، لفت إلى أن "الحب الإلهي أحد المبادئ التي يقوم عليها الدين الإسلامي، وكلما أخلص المؤمن في طاعة الله ازداد له حبًّا، وكلما ازداد له حبًّا اقترب من الله أكثر".

وأشار إلى ظهور جماعات في المجتمع الإسلامي، وضعت أسس ومبادئ الحركة الصوفية من خلال كتبهم وقصائدهم؛ حيث كان الحب الإلهي أحد أهم الموضوعات التي سعى فيها الصوفية إلى التأكيد على أن دور الإنسان في هذه الدنيا يقوم على الفناء في الله، فإن من أهم صفات الله بالنسبة لهم هو الجمال المطلق والحب المطلق.

وقدَّم الدكتور عمار جيدل من الجزائر ورقة حول "بواعث المحبة ووظائفها عند الصوفية ... عبد القادر السهروردي أنموذجًا" قال فيها إن السهروردي صاحب كتاب "عوارف المعارف" شخصية صوفية بامتياز، درس بواعث المحبة ووظائفها، كما قدم الدكتور لعموري زاوي من الجزائر ورقة بعنوان "رمزية المرأة في الحب الصوفي"، وقدمت أوراق عن صور الحب في القران الكريم للدكتورة ابتسام مرهون من جامعة جدارا، وثنائية الحب والكره في الخطاب القرآني للدكتور خليفة بوجادي من جامعة سطيف في الجزائر، والحب والكراهية من منظور تربوي للدكتور مصطفى الجلابنة من جامعة فيلادلفيا، وأدب الهوى عن بعض أهل الفقه للدكتورة بسمة أحمد الدجاني من الجامعة الأردنية.

وقد شارك في فعاليات المؤتمر ٧٠ باحثًا، يمثلون ١٨ دولة عربية وأجنبية، من أكثر من ٤٠ جامعة عربية وأجنبية، إضافة إلى مؤسسات ثقافية وإعلامية عربية وعالمية.

وكالة بترا ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨

انخفاض كبير في أعداد المشاركين بموالد البدوي

انخفض بشكل غير مسبوق هذا العام المشاركون في احتفالات مولد السيد البدوي في مدينة طنطا المصرية، ونسأل الكثير من الباعة والمشاركين عن المريدين، الذين يأتون كل عام بمئات الآلاف لزيارة السيد البدوي خلال الاحتفال بمولده.

وأعرب أحمد محمد نجل «خليفة المولد» السابق الدكتور محمد الخليفة، عن أسفه وحزنه على ما وصفه بقلة شديدة في الوافدين والمريدين للاحتفال بالمولد، الذي اختتم أعماله يوم الجمعة ٢٠٠٨/١٠/٢٤.

وأضاف أحمد: «إن أسبوع المولد شهد تراجعًا كبيرًا في أعداد المشاركين هذا العام»، متوقعًا أن يكون سبب ذلك غياب «موكب الخليفة»، الذي يعد أحد أهم مراسم الاحتفال بالمولد.

وفي العادة ينتهي الاحتفال بمولد البدوي بموكب لخليفة المولد - منصب شرفي - الذي يجوب الشوارع الرئيسة بطنطا على فرس، يتقدمه طابور من الشرطة بقيادة أحد الرتب العسكرية ويحيطه المريدون، فيما يتخلل الاحتفال حلقات ذكر وإنشاد، يتراقص الحضور على أنغامها.

وأكد "شريف" صاحب محل لعب أطفال بجوار المسجد الأحمدي الذي يحوي ضريح "أحمد البدوي"، أن عدد زوار المولد في تناقص مستمر، مشيرًا إلى أن والده كان يحول المحل إلى خيمة لاستضافة وإطعام الوافدين للمشاركة في الاحتفال، غير أن هذا لم يعد يحدث بسبب قلة المشاركين في المولد في السنوات الأخيرة وقلة المتبرعين، لافتًا إلى أن كثيرًا من الأهالي كان يأتي من محافظات مصر المختلفة إلى المولد، مصطحبين معهم ذبائح كبيرة لإطعام رواد المولد.

وعن تفسيره لقلة أعداد المشاركين قال: "إن هذا يعود لسببين رئيسين؛ أولهما الظروف المادية الصعبة التي يعاني منها الناس؛ فقد تجمع عليهم أكثر من موسم في فترة زمنية واحدة؛ رمضان والمدارس والعيد، وكل هذه المواسم تتطلب كما تعلم تكاليف وأعباء مادية كثيرة".

وإلى جانب ذلك، أشار شريف إلى أمر آخر وهو "زيادة وعي الناس بمخالفة مثل هذه الاحتفالات للسنة؛ فالأجيال الجديدة اليوم ثقافتها تغيرت، ولم تعد تعتقد في مثل هذه الأمور، سواء من منطلق شرعي أو من

منطلق ثقافي عقلي".

أما عبد الله صاحب عمل بالقرب من ساحة الاحتفال الرئيسة بالمولد، فيتفق مع صديقه شريف في أن أعداد رواد المولد في تراجع كبير، مشيرًا إلى أن شوارع طنطا كانت تشهد خلال فترة الاحتفال تكدسًا كبيرًا.

وفي تقديره لأسباب هذا التراجع قال عبد الله: "الناس ظروفها المادية صعبة الآن، وموعد المولد تصادف مع عدد من المناسبات التي تحتاج لنفقات خاصة، كما أن الناس ازدادت وعيًا بأن هذه الاحتفالات ليست شرعية".

أما أحمد وهو بائع لحلوى الحمص الشهيرة في طنطا، فوقف أمام سلعته بجوار المسجد يشكو من قلة الزبائن، قائلًا «هذا الوضع لم يحدث قبل ذلك، المولد في انقراض، كما ترى لا أحد يشتري رغم أن الزبائن في هذا الوقت من كل عام كانت تتزاحم عليَّ لتشتري الحمص والحلاوة، التي تعتبر عماد سلع المولد».

كذلك فقد لعبت الظروف المناخية دورًا في قلة المشاركين بالمولد، والتعجيل باختتام فعالياته؛ فقد تسببت الأمطار التي أغرقت شوارع مدينة طنطا في اليوم الختامي للاحتفال، إلى التعجيل برحيل الباعة والمريدين القادمين من خارج المدينة، وبقاء الراغبين في المشاركة بمنازلهم هربًا من الأمطار.

وتشير تقديرات المهتمين بالمولد وكثير من أهالي طنطا، إلى أن رواد الاحتفال هذا العام لم يتجاوزوا بضعة مئات الآلاف، على عكس السنوات الماضية التي كانت تشير تقديراتها إلى أن الأعداد تتجاوز المليونين.

واستشهدوا على ذلك بما لمسوه من خلو أغلب الشوارع من خيام ممثلي الطرق الصوفية، القادمين من أنحاء البلاد للمشاركة في الاحتفال، إلى جانب سهولة التنقل حول المسجد، نظرًا لقلة الزحام حتى في «الليلة الكبيرة» آخر ليالي الاحتفال.

إسلام أون لاين ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٨

سيصدر قريبًا

(قراءة شرعية فى الطبقات الكبرى للشعرانى)

اكرم مبارك عصبان

حملة المدونين لإعلان الرفض الشعبي لمولد «أبي حصيرة»

دشن عدد من المدوِّنين المصريين حملة على شبكة الإنترنت للعام الثاني علي التوالي، ضد الاحتفال بمولد أبي حصيرة اليهودي، وأطلق المدوِّنون على الحملة اسم: سنة ثانية رفض ... مدونون ضد «أبي حصيرة».

وقال أعضاء موقع مدونون ضد «أبي حصيرة »: «نواصل الجهد من أجل وقف هذا الاعتداء الحكومي على القانون والشعب، والحق والأمة العربية والإسلامية، نواصل للعام الثاني حملتنا ضد إقامة مولد «أبي حصيرة» المزعوم، ونواصل المطالبة بوقف هذا المولد غير المبرر وغير القانوني وغير الوطني، ونطالب الجميع بالتحرك نحو توحيد موقف وطني قوي تجاه هذا الأمر، احترامًا لحكم القانون ورغبة الشعب».

وكانت المدونة قد بدأت حملة واسعة منذ أواخر شهر نوفمبر الماضي، ضد إقامة احتفال "أبي حصيرة" بقرية دمتيوه بمركز دمنهور بمحافظة البحيرة، ودشنوا حملة تدوينية ضخمة لإرسال رسالة إلى رئيس البرلمان المصري، لوقف مهزلة "أبي حصيرة".

وطالبت الحملة الحكومة المصرية بالخروج من نفق التعتيم الإعلامي الرسمي، والرد على الشعب المصري ردًّا قاطعًا حول هذه الأنباء المؤسفة، واعتبروا أن هذه الممارسات دليل جديد على بوليسية الدولة ونظامها، الذي وصفوه بأنه لا يحترم قانون هذا الوطن ولا مشاعر مواطنيه، ولا حقوق أشقائه في فلسطين وسائر البلدان العربية المحتلة؛ كلبنان وسوريا والعراق.

كما دعوا في البيان الصادر عنهم جميع المدوِّنين والأحرار وكل من يهمه الأمر، إلى الاستمرار بكل نشاط وهمة، في حملة المليون رسالة إلى رئيس البرلمان المصري لوقف المهزلة، مؤكدين أن العبرة بقناعاتهم الحرة لا بشمار أطروحاتهم القريبة، معتبرين أن الرسالة من الحملة آتت وما زالت ثمارها الإعلامية على نطاق واسع.

يُذكر أن الاحتفال رغم إلغائه يتم أواخر كل عام وحتى الأسبوع الأول من العام الجديد، وفي يوم غير محدَّد تحت رعاية أمنية مشددة، تُسبِّب المعاناة لأهالي القرية الفقيرة وأهالي مدينة دمنهور.

وترجع مجريات الاحتفال إلى عام ١٩٧٨م، عقب توقيع "اتفاق كامب ديفيد"؛ حيث بدأ الصهاينة اليهود يطلبون رسميًّا تنظيم رحلات دينية إلى قرية "دمتيوه"، الواقعة في محافظة البحيرة شمال مصر؛ للاحتفال بمولد "أبي حصيرة"، المزعوم أنه "رجل البركات".

وبدأ عددهم يتزايد من بضع عشرات إلى بضع مئات ثم بالآلاف، يتوافدون كل عام من الكيان الصهيوني وأمريكا

وبعض الدول الأخرى، حتى بلغ عددهم قبل عامين قرابة أربعة آلاف، برغم احتجاجات الأهالي على تصرفات الزوار الصهاينة، وتحويلهم حياة الفلاحين في هذه القرية إلى جحيم، بسبب تحول القرية إلى مدينة مغلقة، وبسبب إجراءات الأمن المصرية المكثفة لحماية الزوار.

ويبدأ الاحتفال غالبًا يوم ٢٥ ديسمبر فوق رأس «أبي حصيرة»؛ حيث يُقام مزاد على مفتاح مقبرته، يليها عمليات شرب الخمور أو سكبها فوق المقبرة ولعقها بعد ذلك، وذبح تضحيات غالبًا ما تكون خرافًا أو خنازير، وشي اللحوم والرقص على بعض الأنغام اليهودية بشكل هستيري وهم شبه عرايا بعد أن يشقوا ملابسهم، وذكر بعض الأدعية والتوسلات إلى البكاء بحرقة أمام القبر، وضرب الرءوس في جدار المبكى للتبرك وطلب الحاجات، وحركات أخرى غير أخلاقية.

وشهدت المقبرة بعض التوسع مع تزايد عدد القادمين، وتم كسوة الضريح بالرخام والرسوم اليهودية لاسيما عند مدخل القبر، ثم بدأ ضم بعض الأراضي حوله وبناء سور، ثم قيام منشآت أشبه بالاستراحات، وهي عبارة عن غرف مجهزة، واتسعت المقبرة من مساحة ٣٥٠ مترًا مربعًا إلى ٨٤٠٠ مترًا مربعًا، وقد سعوا أيضًا إلى شراء خمسة أفدنة مجاورة للمقبرة، بهدف إقامة فندق عليها لينام فيه الصهاينة خلال فترة المولد، بيد أن طلبهم رُفض.

وبدأت التبرعات الصهيونية تنهال لتوسيعها، وتحويلها إلى مبكى جديد لليهود الطالبين الشفاء أو العلاج من مرض، حتى أن حكومة الكيان الصهيوني قدمت معونة مالية للحكومة المصرية، طالبة إنشاء جسر يربط القرية التي يوجد بها الضريح بطريق علوي موصل إلى مدينة دمنهور القريبة؛ حتى يتيسر وصول الصهاينة إليها، وأطلقوا على الجسر أيضًا اسم «أبو حصيرة» ومع الوقت تحول «أبو حصيرة» إلى مسمار جحا للصهاينة وحكومتهم في مصر.

وبقرار رقم ٧٥ لسنة ٢٠٠١م، قضى وزير الثقافة فاروق حسني بضم مقبرة «أبي حصيرة» التي يزورها بعض الصهاينة إلى هيئة الآثار المصرية، الأمر الذي يعني الحق لصهاينة العالم في القدوم إليه كل لحظة بدلًا من أسبوع واحد في العام، كما كان يحدث في السنوات الأخيرة!

ولكن في ٩/ ١٢/ ٢٠٠١م، أصدرت محكمة القضاء الإداري بالإسكندرية دائرة «البحيرة» حيثيات الحكم بوقف قرار وزير الثقافة، باعتبار ضريح «أبي حصيرة» والمقابر التي حوله بقرية دمتيوه بدمنهور من الآثار الإسلامية والقبطية، ووقف الاحتفالية السنوية لمولد «أبي حصيرة».

وقالت المحكمة إن مما سبق يتضح أن اليهود خلال إقامتهم في مصر لم يشكلوا حضارة، بل كانوا قومًا متنقلين يعيشون في الخيام ويرعون الأغنام، ولم يتركوا ثمة أثر يذكر في العصر الفرعوني؛ وبالتالي فإن القرار الذي أصدره وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام «أبي حصيرة» بقرية دمتيوه بمدينة دمنهور والمقابر اليهودية التي حوله ضمن الآثار الإسلامية والقبطية، رغم أنه مجرد قبر لفرد عادي، لا يمثل أي قيمة حضارية أو ثقافية أو دينية للشعب المصري، حتى يمكن اعتباره جزءًا من تراث هذا الشعب.

وهو الأمر الذي يكون معه قرار وزير الثقافة باعتبار الضريح والمقابر اليهودية ضمن الآثار الإسلامية والقبطية مخالفًا للقانون؛ لانطوائه على مغالطة تاريخية تمس كيان الشعب المصري، الذي هو ملك لأجيال الأمة وليس للأشخاص، كما ينطوي على إهدار فادح للمُشرِّع المصري، الذي لم يعترف بأي تأثير يذكر لليهود أثناء إقامتهم القصيرة بمصر.

وحديثًا وصل سعر المتر المربع في قرية دمتيوه التي تضم رفات من يدعى «أبو حصيرة» ضعف سعره في أرقى مناطق مصر، بحجة إقامة ما يشبه مستوطنة سياحية خارج أرض فلسطين، محاولين إغراء أصحاب الأرض بالمال.

ويقدم المحامي مصطفى أرسلان ما يؤكد أن «أبا حصيرة» المزعوم، ما هو إلا رجل مسلم وليس يهوديًا، وذلك بتقديمه شجرة عائلته التي قدمها له بعض المسلمين من المغرب في موسم الحج، لكن المحكمة رفضت الطعن.

بينما يدعي الصهاينة أن «أبا حصيرة» حاخام يهودي من أصل مغربي، واسمه الأصلي أبو يعقوب، وأنه من أولياء الله في زعمهم، وله «كرامات» مشهودة!

نافذة مصر ٥/ ١١/ ٢٠٠٨

الصوفية المتشيعون يتخرصون على أنصار الشيخ القرضاوي بمهاجمة مواقعهم

اتهم الصوفية المتشيعون من أبناء الطريقة العزمية أنصار الشيخ القرضاوي، بمهاجمة أربعة مواقع صوفية، ومنها موقع الطريقة العزمية المساندة للشيعة دائمًا؛ حيث استطاع مخترقوا هذه المواقع محو كل البيانات الموجودة عليه؛ لتتوالى بعد ذلك اختراقات أخرى على مدار الأسبوع، على حد قولهم.

وقال المهندس عصام محيي مدير موقع «الإسلام وطن»، وهو الموقع الرسمي للعزمية: «إن المواقع المخترقة اشتركت في إطلاق حملة إلكترونية ضد الشيخ يوسف القرضاوى، بسبب تصريحاته الأخيرة عن الشيعة، واتهام «الصوفية» بأنهم باب التشيع في مصر، ثم الترويج لمؤتمر عام للصوفية للرد على الشيخ القرضاوي، الذي أعلنت توصياته بمطالبة القرضاوي بالتنازل عن منصبه كرئيس لاتحاد علماء المسلمين، أو الاعتذار للصوفية وعدم إثارة الفتن الطائفية بين السنة والشيعة.

وهاجم محيي الذين هاجموا مواقع الشيعة عند الأزمة الأخيرة تحت شعار مناصرة القرضاوي، قائلًا: "إن الوهابيين لم يرضوا بردنا الإلكترونى على القرضاوى، والدفاع عن منهج التصوف الإسلامى المخالف للمنهج الشيعى ـ على حد زعمه ـ فقرروا استخدام مهاراتهم في القرصنة الإلكترونية".

وأشار إلى أن الموقعين المخترقين الرسميين للطرق الصوفية، هما منتدى الطريقة العزمية التابع للمشيخة العزمية، والموقع الرسمى لطريقة المغازية، وهما من أهم الطرق المسجلة في المجلس الأعلى للطريقة العزمية.

يذكر أن بعض مشايخ الطرق الصوفية ومنهم د. محمد أبو هاشم شيخ الطريقة الهاشمية الخلوتية الأحمدية، وعميد كلية أصول الدين بالزقازيق، حذر من أن الشيعة يحاولون اختراق الطرق الصوفية مستغلين محبتهم لآل البيت، ودافع آخرون عن قبولهم للدعوة، مؤكدًا أن عددًا كبيرًا من الناس في مصر تحولوا للشيعة، من المنتمين للجماعات الصوفية.

وحرصت الجماعات الشيعية الأمريكية على توجيه الدعوة بزيارة الولايات المتحدة، وحضور هذا المؤتمر لعدد من مشايخ الطرق، وقال أبو هاشم أن الأمريكيين وجدوا أن الطرق الصوفية تمثل التيار المعتدل في مصر، ولها أتباع كثيرون، ولذلك يحاولون أن يستثمروا هذا الأمر في توجيه بعض الدعوات لبعض مشايخ الطرق الصوفية لزيارة أمريكا، غير مدركين الهدف من وراء هذه الدعوة.

وكشف أبو هاشم في حديثه لمجلة "آخر ساعة" الأسبوعية المصرية، عن اتخاذ المجلس الأعلى للطرق الصوفية قرارًا يقضي بعدم سفر أي شيخ طريقة إلا بعد موافقة المجلس ومعرفة سبب الدعوة، وذلك خوفًا من أن تكون نابعة من هذين التيارين؛ التيار الأمريكي والتيار الشيعي؛ فالمجلس الأعلى للطرق الصوفية هو الهيئة العليا التي تدير التصوف في مصر.

المصري اليوم ١٦/ ١١/ ٢٠٠٨